كلنا سوريون

سياسة نصف شهرية

صحيفة سياسية نصف شهرية، تحاول أن تكون فضاءً إعلامياً مفتوحاً على الشأن السوري، تهتم بكل ما يهم الشارع السوري، وتشارك السوريين حياتهم في بلاد النزوح، نسعى لأن نكون ساحة لتبادل الرأي وتبادل المعلومة، دون الدخول في متاهة امتلاك الحقيقة المطلقة، محاولة جادة للمساهمة في صناعة إعلام سوري جديد وجدي، يساهم بدوره في صياغة وعي وطني سوري جامع، يؤسس لصياغة الهوية الوطنية الجامعة .

خاص كلنا سوريون ت. جلال مامو

ما بين عَجزين... يذهبُ المفاوضون إلى جنيف

براميل الموت تقتل البشر والحجر والشجر في حلب وداريا

مخيم اليرموك ملحمة صمود وبقاء

خاص كلنا سوريون ت. عمر جزار

جنيف ٢
«تفاوض العاجزين»

بسام يوسف

على جهتين متقابلتين يفصلُ بينهما خطٌ أحمرَ شديدَ الوضوح والكثافة يقفُ وفدا التفاوض ِالسوريين في جنيف٢. في الجهة الأولى يقف وفد بشار الأسد (وهو فعلاً وفد بشار الأسد، فهذا الوفدُ ليس له أيّ وظيفةٍ أخرى سوى أن يعملَ على فكرةٍ وحيدةٍ أبلغهُ إيّاها قادةُ سورية الفعليين، وأقصدُ طغمة (العسكر ـ مخابرات) محملاً برسالةٍ وحيدةٍ تنصّ على أنْ «لا تفاوضَ حولَ رحيلِ بشار الأسد». وفي الجهةِ الثانية يقفُ وفد الائتلاف. (هو فعلاً وفد الائتلاف فليس لهذا الوفد علاقته الواثقة بالقوى السياسيّة أو العسكريّة في الداخل السوريّ ولا حتى خارجها) محمّلاً أيضاً برسالةٍ وحيدةٍ لا يجرؤ على العمل خارجها، وهي «لا تفاوض إلاّ على رحيل الأسد».

وفدُ الأسدِ لا يستطيعُ أن يتزحزحَ شعرةً واحدةً عن الوظيفة الموْكلةِ إليه، فهناك سجون وعائلات مرهونة، وانتحار بعدة طلقات، ووفدُ المعارضةِ الذي ـ ربّما ـ يملكُ هامشاً أوسعَ للحركة، يدرك جيداً أنّ الساكتين عنه أو الموافقين على مشاركتهِ لن يمهلوه طويلاً كي يسحبوا البساطَ من تحتِ قدميه، إنْ هو أسقطَ الرسالةَ التي فوّضَ بها.

ما بين (لا تفاوضَ حول رحيلِ بشار الأسد) وبين (لا تفاوضَ إلا حولَ رحيلِ بشار الأسد)، تقفُ هذه الـ «إلا» كالمستحيلِ أمامَ وفدَي المفاوضات، وهي تلخصُ بحقٍ عمقَ الأزمةِ السورية.

لم يكنِ النظامُ السوريّ في لحظةٍ واحدةٍ منذ عام ١٩٧٠، أي لحظة استلام حافظ الأب للسلطة، وربما قبل ذلك، وفياً لأيّ فكرةٍ تخصّ الوطن والدولة والشعب، إلا بمقدارِ ما تخدمُ هذه الفكرةُ، الفكرةَ الأهم وهي بقاءُ السلطة بيده، كانَ وفاء حافظ الأسد وإخلاصَهُ للسلطة المطلقة معياره الوحيد للتعاملِ مع كلّ ما يمتّ لسورية بصلة، ذاكرةً وتاريخاً وجغرافيةً وشعباً وثقافة وسياسة و...و...و... وأمام سلطتهِ المطلقة كان كلّ شيءٍ مباح، ولا مانع من استباحةِ أيّ مقدس من مقدساتِ الوطن، وعلى ضوءِ هذا الهدف الوحيد نحتَ حافظ الأسد بدأبٍ وتصميمٍ شكلاً فريداً للسلطة في سورية، فأخرجها خارج دائرةِ المساءلةً والمحاسبة وألصقَ بها ما يشبه المقدس، سلطة مطلقة لا يحقّ لأحد مشاركتها أو انتقادها، ولا يمكن لأحدٍ أنْ يفعلَ ذلك لو أراد.

مَنْ يقرأ سوريا في السنوات الثلاث الماضية، يدرك جيداً كم كان نهجُ الأسد الأب مدمّراً لسوريا ولمقوماتِ بقائها، ويدركُ جيداً حجمَ الخرابِ المخفيّ الذي فعله حافظ الأسد كي يبقى على سلطته طوال ثلاثين عاماً، وكي يمكنه نقلها فيما بعد لابنه. كل ذلك الخراب غير المعلن والمغطّى بأسطورةِ القائد الرمز، أعادَ ابنه إنتاجه مرةً أخرى، ولكن هذه المرة علانية، ليس داخل بنيةِ المجتمعِ وثقافتهِ وحياتهِ السياسية وحسب، بل وفي حياة البشر وممتلكاتهم وكرامتهم وأطفالهم وما بقي لهم. ها هي المعادلة تكتمل، الأب يدمرُ البنية الفوقية، ويؤسس لتدمير البنية التحتية لسورية، والابن يكمل دمار ما تبقى... وهكذا ستنتهي حقبة آل الأسد بسورية المدمرة تماماً.

ها هو بشار الأسد يقفُ فوق ركامِ الدمار... وفوق جثثِ مئات الآلاف من السوريين... وعلى أطلال ملايين السوريين الذين تركوا كلّ شيء وهربوا من الموت.. ها هو يقفُ اليوم ليفاوضَ بقية الرمقِ في السوريين، وليعلنَ أنْ لا شيء في سوريا يوازي بقائه في السلطة.

في ضوءِ هذه القراءة يتضحُ لنا أيّة آفاق تنتظرُ ما تبقى من جولاتِ جنيف٢، لم يعدْ بشار الأسد قادراً على حكم سوريا المدمّرة، ولا تستطعِ المعارضة أنْ تسقطه بالقوة... ها هو المشهدُ يكتمل... بلدٌ كامل الخرابِ، نظامٌ لا شيءَ يملكهُ إلا قوته العسكرية العارية، يمضي ما تبقى من عمره في دبابةٍ، (عذرا محمود درويش) يعرفُ جيداً أنه إنْ خرجَ منها ستكون نهايته. ومعارضةٌ تقفُ عاجزةً... تستغيثُ لكي يتدخلَ أحدٌ ما لإنهاءِ هذا الفصلِ من التراجيديا السورية.

ما بين عجزين... يذهبُ المفاوضون إلى جنيف... وهم يعلمون أنّ الكلامَ الفصل سيقوله الآخرون... الآخرونَ الذين سيرسمون آفاقَ هذه المحنة التي اسمها الوطن السوري. متى سيقررُ الآخرون نهاية هذه المأساة..؟؟ وعندما يقررون ذلك كيف سيرسمون تفاصيلَ انتقالِ هذا القرار إلى حيّزِ التنفيذ..؟؟ ومَنْ هي الأدوات التي ستنفذ؟؟

حتّى تلك الأجوبة... تبقى سورية تُدَمَّرُ، ويبقى السوريون يقتَلون ويهجَّرون ويموتون في أقبيةِ السجون... وينتظرون.

ينتظرون معجزة ما, معجزة توقظ السوريين على أن ما يخرجهم من هذه الدوامة القاتلة هو فقط أن يبيموا وجوههم (كلهم, طوائف وسياسيون ومقاتلون و..و..) صوب سورية فقط, سورية الواحدة التي لا فضل فيها لأحد على أحد إلا بمقدار مقاومته للاستبداد والطغيان على اختلاف أوجهه.

إلى أي حل سياسي يرمي جنيف ٢

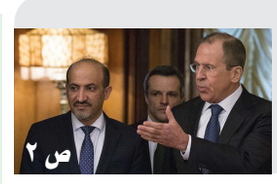

ص ٢

في الوقت الذي لاوجود فيه لأي نوع من أنواع التهدئة كإصرار على الحل العسكري، هل يجري البحث حقا عن مخرج سلمي؟، مع كل تلك المآسي التي فرضها اللجوء للسلاح، هل يبدو الحل السياسي في جنيف ممكناً؟. **لؤي حاج بكري**

كلنا سوريون.. صوت خارج ضجيج الصراع

ص ٢

وسط تلك الصورة التي تحيط بسوريا والسوريين، يبدو من الأهمية بمكان، صعود صوت سوري، يفتح بوابات الأمل التي لن تغلقها أي وقائع بعد كل التضحيات التي قدمها السوريون. **فايز ساره**

الإدارة الذاتية مطلب حق بإدارة باطلة

ص ٤

بهذه البراغماتية الفظّة التي لا تخلو من حس التحايل والمراوغة واقتناص الطريدة في المناخ العكر، وموارية حول استحقاقات المرحلة، من خيارات أكثر جدية في الانخراط الفعلي للثورة. **محمد جيجاك**

حوار العدد د. حازم نهار

حسين برو

ص ٥

حازم نهار طبيب وباحث في الفكر السياسي وحقوق الإنسان، في الطب اختصّ في الطب الفيزيائي والتأهيل، وربما في السياسة السورية، حاول أن يختص بما يُشبه إعادة التأهيل.. ساهم بجدية في بدايات الثورة، في تشكيل أجسام سياسية للمعارضة السورية، لكنه سرعان ما انسحب منها واتخذ موقف المراقب، لكنه ما زال يعتبر أن الفعل السياسي هو الأهم والضروري. يثير حازم نهار خلال مقالاته وكتبه الكثير من الإشكاليات، ويطرح العديد من التساؤلات، ويبدو أنه مصراً أن يكون مغرداً خارج السرب، مصراً على خطاب سياسي عقلاني جديد.

جريدة «كلنا سوريون» وعبر حوارها الطويل مع حازم نهار، حاولت أن تناقش معه كل القضايا، من جنيف ٢، إلى الحل السياسي، إلى القوى السياسة والعسكرية، مروراً بالقضية الكردية والحكومة الانتقالية، وصولاً الى ضرورة العمل السياسي الحزبي. ولأن الحوار كان عميقاً ومباشراً وداخلاً في التفاصيل جاء طويلاً، ارتأت هيئة التحرير أن ينشرعلى عددين.

مقاربات في الإعلام

ص ٩

لا أحد ينكر دور الإعلام وأهميته في أي مجتمع من المجتمعات، ولما كان جنيف ٢ ظاهرة سياسية طاغية هذه الأيام، نتساءل كيف تعامل معها إعلام المعارضة وكذلك إعلام النظام.

نقرأ في الصفحة التاسعة مقالين طويلين، تناقش في أولهما الدكتورة خولة حسن الحديد، أداء الوفد الإعلامي للائتلاف، وكيف كان له أن يكون أفضل وأكثر فاعلية، وفي الثاني نقرأ للدكتور عزام أمين وهو يناقش الإعلام في الأنظمة الشمولية.

لا جدوى في مفاوضات جنيف ولكن

بسمة قضماني ص ٣

يبقى السؤال إن كان هناك أي أمل للتوصل الى أرضية مشتركة للتفاهم على أدنى الأمور مع ممثلي النظام؟ الجواب واضح مع الأسف فإن هذا الاحتمال شبه معدوم في الوقت الحالي وقد تبين ذلك من خلال فشل الأطراف الدولية في إحراز تقدم يذكر...

حوار ورصاص وفطر مسموم

ص ٤

طبعاً مؤتمر الحوار ذاك لم يكن إلا ضرباً من تهريج أراد النظام فيه إقناعنا بمسرحية بائسة عن خطوات إصلاحية جذرية قادمة، والكل وقتها كان يعرف، واليوم يلمس أن القادم لم يكن إلا تخطيط النظام الشيطاني لجرِّ البلاد إلى الدمار والدماء. **ثائر موسى**

تحقيقات العدد

الموت البطيء في قرى الحسكة ص ٦

الدفاع المدني في حلب ص ٦

مخيم اليرموك الجوع ولا الركوع ص ٧

لوحة إعلانية ص ٧

سائحٌ حلبيٌّ يزور حلب ص ١٠

دفء الوطن ص ١٠

جنيف(٢): بين الحل السياسي والتسوية

في سوريا ثورة شعبية، وليس عصابات مسلحة

مروان عبد الهادي

-١-

لقد عملت المعارضة السياسية بكل تياراتها منذ توريث السلطة، مع مطلع القرن الحالي، على إيجاد حل سياسي لحالة الانسداد التي تعيشها سوريا، والذي تمثل بمطالبة النظام للقيام بإصلاحات حقيقية، كمدخل لانتقال سلمي وتدريجي من النظام الاستبدادي، إلى نظام ديمقراطي. ثم اندلعت الانتفاضة السورية، وهي ثورة سياسية سلمية، هدفها إيجاد حل سياسي يضمن حرية وكرامة السوريين. إلا أن مواجهة النظام للثورة بالعنف وقتل المتظاهرين السلميين. دفع بالثورة نحو الكفاح المسلح، وتوضح للجميع بأن هذا النظام غير قابل للإصلاح، وأن «الابن ـ المهزلة»، لا يختلف من حيث الجوهر عن «الأب ـ المأساة».

مع الانتقال إلى الثورة المسلحة، لم يعد الحديث ممكناً عن الحل السياسي بوجود النظام. وقد ترسّخ ذلك على الأرض بسبب العنف الفظيع للنظام وشعاره، «إما أنا، أو نحرق البلد». وتحول الصراع بين الشعب والنظام، إلى صراع وجودي، ومفتوح. «إما الشعب، أو النظام». ولم يعد ممكناً اغلاق هذا الصراع، أو وضع حد لنهايته إلا برحيل الطاغية. وقد يكون الطاغية قادراً على تأخير انتصار ثورة الشعب، لكنه لن يكون قادرا على إنهائها، وإعادة الشعب إلى الحظيرة من جديد.

جنيف(١) الذي ينص على تطبيق خطة «كوفي أنان»،(حزيران٢٠١٢) والتي تتضمن الدعوة إلى «عملية انتقال سياسية»، «وتشكيل حكومة انتقالية تتمتع بكامل سلطتها التنفيذية». وهي محاولة لإيجاد منطقة وسطى، أو تسوية بين النظام والثورة. الا أن هذه التسوية لن يُكتب لها النجاح، لأن النظام لم يقبل أية تسوية، ولأن «مجموعة العمل الدولية حول سوريا» بقيادة أمريكا لم تقدم أية إجراءات عملية لتنفيذها. وخاصة أن البيان لم يُحدد مصير الطاغية.

-٢-

وتحول الصراع بين الشعب والنظام، إلى صراع وجودي، ومفتوح. «إما الشعب، أو النظام». ولم يعد ممكناً اغلاق هذا الصراع، أو وضع حد لنهايته إلا برحيل الطاغية.

رحل «أنان»، وجاء «الابراهيمي»، وأصبح الصراع العسكري أكثر عنفاً، وتم إدخال الثورة في نفق المحور الإقليمي الطائفي بقيادة السعودية، مقابل حلف النظام الشيعي بقيادة إيران. واختلطت الأوراق، وأصبحت الثورة على طاولة الصراع الإقليمي والدولي على سوريا، واختفاء مفهوم الثورة، ليحل بدلاً عنه، الصراع على السلطة، والأزمة الإنسانية، مع تفاقم أزمة الشعب وبلوغ عدد الشهداء مئات الآلاف، وملايين اللاجئين والنازحين، الذين ازدادت معاناتهم، إلى حد الموت جوعاً.

في مثل هذه الأوضاع، وبعد ثلاث سنوات، تأتي المحاولة الأمريكية والروسية أكثر جدية، لعقد مؤتمر جنيف (٢)، من أجل تطبيق بنود جنيف(١)، لحل «الأزمة السورية» كما يسمونها، وضرورة إيجاد مخرج سياسي في سوريا، وخاصة بعد اتفاقهما «الملغوم» على تجريد سوريا من أسلحتها الكيميائية، والذي يُعد نصراً كبيراً لأمريكا وإسرائيل.

والعودة الى جنيف (١) تأتي نتيجة لقراءة المجتمع الدولي لمسار الصراع العسكري على الأرض، الذي يفرز الحلول السياسية المؤقتة أو النهائية، في اللحظات المفصلية الهامة في مسار الصراع المسلح بين الثورة والنظام، وليس العكس.

قبل الثورة لم يكن موقف الأنظمة العربية والدولية معادياً للنظام السوري. إلا أنه مع تقدم الجيش الحر على الأرض بسرعة، خلال الاشهر الأولى من عمر الثورة المسلحة، تحول الموقف العربي والدولي، ليصبح معادياً بشكل مباشر للنظام السوري، واتخذ العديد من الإجراءات، والعقوبات، ضد النظام، وطالب برحيل الطاغية، وتم تزويد المعارضة ببعض الدعم اللوجستي والعسكري، رغم أن هذا الدعم لم يكن كافياً لإسقاط النظام.

لكن عدم قدرة المعارضة على ترجيح ميزان القوى لصالحها، ومراوحة الصراع في المكان منذ أكثر من عام، جعل الموقف الدولي يتراجع ليقف في الوسط. وأن حصار أمريكا والغرب للمعارضة، وعدم الجدية في دعم المعارضة لإسقاط النظام، يُشير إلى أن من مصلحة الغرب الحفاظ على هذه المراوحة، حتى يستمر النظام، والثورة، في حالة ضعف واستنزاف مستمر، وهي الحالة المثلى لأمريكا وإسرائيل.

والتوافق الأمريكي الروسي، ومن ورائهم السعودية وإيران، لا يقوم كما يدعي الغرب، على دعم الشعب وثورته ضد الطاغية، لأنهم يمنعون صراحة الدعم العسكري للثورة. أو على حل الأزمة الإنسانية في سوريا، إذ يمكن تقديم بعض الأغذية والأدوية والخيام. أو وقف امتداد الصراع إلى العراق ولبنان، وانفجار بلاد الشام بالكامل في صراع طائفي مميت، حيث نجد أمريكا تدعم بشكل فاضح حكومة المالكي في حربه الطائفية ضد السنة في العراق، وهي راضية عن تدخل الميليشيات الشيعية من لبنان والعراق وإيران إلى جانب النظام، الذي يدفع بالصراع نحو الحرب الاهلية الطائفية. مما يشير ببساطة، إلى أن أمريكا من مصلحتها بقاء الصراعات متفجرة في الشرق الاوسط، بقصد استنزافها الدائم.

إنما هذا التوافق ببساطة، هو محاولة لاحتواء الصراع وإدارته وفق مصالحهم، وتقاسم النفوذ والسيطرة المشتركة على سوريا، بعد أن امتلك الطرفان العديد من الأوراق المهمة الفاعلة في الصراع، وبعد أن انتزعت روسيا موقعاً لها، كلاعب رئيسي الى جانب أمريكا، في إدارة الصراعات في العالم المتخلف وتسخيرها لمصالحهم.

ويقوم مؤتمر جنيف(١) على إيجاد تسوية بين الشعب والنظام، وهناك فرق كبير بين التسوية والحل السياسي. وبنية النظام لم تقبل تاريخياً هذه التسوية، وما زالت بدليل الاستمرار في قتل الشعب وتدمير المدن، واعتبار كل من يعارضه إرهابياً. وموقف المعارضة الثابت هو أن الحل السياسي مرهون برحيل الطاغية. ولم يفرز الصراع حتى الآن أية حلقة وسطى، أو إمكانية للتسوية بين النظام والشعب. فهل ينجح مؤتمر جنيف بإيجادها؟.

بالتأكيد لن ينجح مؤتمر جنيف(٢) لأن الطاغية سيظل يقاتل حتى لحظاته الأخيرة. ومن المستحيل إيجاد تسوية ما، كتشكيل «حكومة انتقالية تتمتع بكامل الصلاحيات» بوجود الطاغية على رأس السلطة، أو حتى وجوده على أية بقعة من الأراضي السورية.

لكن من الخطأ التصوّر بأن أمريكا وروسيا يملكان كل الأوراق. إذ يمكن للنظام أن يتخلى عن روسيا إذا حاولت الضغط على الطاغية من أجل أن يرحل. ويمكن للمعارضة أن ترفض أي ضغط أمريكي، يؤدي للتنازل عن ثوابت الثورة. كما أن واقع الصراع العسكري غير ثابت، ومراوحة الصراع في المكان لن تستمر، وبالتالي المواقف لن تكون ذاتها.

-٣-

قد يكون الطاغية قادراً على تأخير انتصار ثورة الشعب، لكنه لن يكون قادراً على إنهائها، وإعادة الشعب إلى الحظيرة من جديد.

والسؤال الهام: ماذا يتم طبخه في الكواليس، لما بعد فشل جنيف(٢).

لاشك أن روسيا وأمريكا يعرفان بأن المؤتمر سيفشل في إيجاد تسوية بين النظام والشعب. ومع ذلك يصرون على انعقاد المؤتمر، واستحضار جنيف(١) من أجل تنفيذه، وإجبار النظام والمعارضة على التفاوض المباشر. لأن المهم بالنسبة إليهم أولاً: أن تبدأ المفاوضات بغض النظر عن نجاحها أو فشلها. وأن يستمروا في إدارة الصراع وتحريكه وفق الاتجاه المطلوب. وثانياً: يبدو أن أمريكا تخطط للتحضير لإرادة دولية، من أجل تنفيذ جنيف(١)، الذي لم ينفذ لعدم توفر هذه الإرادة سابقاً. لكن ما هو الشكل الذي ستأخذه هذه الإرادة؟. هذا ما يتم طبخه في الكواليس! ليس متوقعاً أن تقوم أمريكا بالتحضير لضربة عسكرية للنظام، على الطريقة العراقية أو الليبية بعد الانتهاء من الكيماوي، لأن استراتيجية أوباما ضد التدخل العسكري، لكن يمكن السماح بتسليح المعارضة للمحافظة على التوازن السلبي.

كما أن العمل على انقلاب عسكري غير ممكن، نتيجة بنية النظام. وتجربة مصر وتونس لن تتكرر في سوريا، حيث قام الجيش بالتضحية بالرئيس لإنقاذ النظام. لأن الطاغية الأب، ومن بعده الابن، عملوا خلال نصف قرن على تشكيل جيش واجهزة أمنية طائفية، وليست وطنية. والانشقاقات الكثيرة التي حصلت خلال السنوات الماضية، كشفت القناع الطائفي البغيض لهذه الأجهزة التي تحرق البلد الآن، وليس من السهولة اختراق هذا القناع.

وربما تخطط أمريكا للمستقبل بأن تكون هذه المفاوضات بداية لمفاوضات طويلة متقطعة، وعندما يصبح ميزان القوى لصالح المعارضة وتقترب من النصر، يمكن لأمريكا أن تستخدم القوة وتتدخل، كما حصل في البلقان حيث تم فرض اتفاق دايتون عام (١٩٩٥)، والذي بموجبه تم تقسيم البوسنة بين المسلمين والمسيحيين، ثم تم جر ميلوسوفيتش إلى المحكمة الجنائية الدولية، بعد ثلاث سنوات من الحرب الأهلية راح ضحيتها أكثر من مئة ألف قتيل.

-٤-

عدم قدرة المعارضة على ترجيح ميزان القوى لصالحها، ومراوحة الصراع في المكان، جعل الموقف الدولي يتراجع ليقف في الوسط.

جنيف(٢) سيفشل. والخطوة الصحيحة للائتلاف هي أن يحضر المؤتمر وبدون ضغط خارجي، ويعوض خطأ المجلس الوطني سابقاً رفضه لجنيف (١). ورغم كل الانتقادات التي يتعرض لها، من الرافضين لحضور المؤتمر، أو من المنتقدين للآلية التي تم بها تشكيل الوفد المفاوض. إلا أن هذا الحضور ضروري، ليس فقط من أجل أن يُثبت أمام العالم بأن هذا النظام لا يقبل الحل السياسي، ويعمل على فضح جرائمه ضد الشعب. إنما أيضاً، من أجل أن ينقل للعالم أولاً: أنه يوجد ثورة شعبية في سوريا، وليس عصابات مسلحة، وثانياً: أن يتحدّث في السياسة في المحافل السياسية الدولية، ويُحرك الفعل السياسي للثورة، وثالثاً: شرط أن لا يتخلى عن ثوابت الثورة.

إلى أي حل سياسي يرمي جنيف ٢

لؤي حاج بكري

في الوقت الذي لاوجود فيه لأي نوع من أنواع التهدئة كإصرار على الحل العسكري، هل يجري البحث حقا عن مخرج سلمي؟، مع كل تلك المآسي التي فرضها اللجوء للسلاح، هل يبدو الحل السياسي في جنيف ممكناً؟.

لا شك بأن ما يجري على الأرض السورية من حالات مستمرة من القتل والتدمير والتهجير لا تحقق سوى المزيد من المآسي، دون أية سيادة مطلقة أو سقوط واضح للنظام المسيطر على مؤسسات الدولة وأجهزتها المختلفة، كل الوقائع تدلل على تقلص عمل تلك المؤسسات وانحسارها عن أجزاء كبيرة من الوطن، الجميع غدا هدفاً للجحيم الذي تنشره قذائف النظام وأسلحة الكتائب العشوائية، والقسم الأكبر من الشعب السوري أصبح عرضة للفوضى الناجمة عن غياب إدارة الدولة لشؤون المجتمع، غياب للاستقرار والأمن وانتشار للنهب والاختطاف والقتل مع التدهور المتزايد في الخدمات العامة والصحية والتعليمية، بهذه الوقائع يستمر الجميع في حالة صراع عسكري لفرض وجود كل منهم على أي جزء من الأرض السورية، النظام بكل ترسانته العسكرية والمدنية وبالدعم اللامحدود من روسيا وايران وبمشاركة مقاتلين من حزب الله والكتائب الشيعية العراقية، الكتائب المسلحة المختلفة بدءً من التنظيم القاعدي للمجاهدين الاسلاميين الوافدين لسوريا (داعش)، وصولاً إلى الجبهات الاسلامية المتعددة وهيئة الأركان العسكرية للائتلاف الوطني المعارض، مروراً بالاتحاد الديمقراطي الكردستاني (الفرع السوري لل ب ك ك).

كذلك وكما هو واضح فإن ما جرى ويجري من تدخلات عسكرية مباشرة بإدخال الأسلحة والمقاتلين لكافة القوى المتصارعة أضاف وجهاً أخر للأزمة السورية، وجهاً غير الوجه السوري المتمثل بالثورة السياسية على نظام الاسد كنظام استبداد فردي، هذا الوجه الذي يرى الكثيرون بإمكانية تحويل المسألة السورية إلى مسألة صراع اقليمي طائفي على الأرض السورية، أما ما يتعلق بالمواقف الدولية المتناقضة التي كانت سبباً أساسياً لعدم التوصل إلى أي قرار في مجلس الأمن يساعد المجتمع الدولي على إنهاء العنف المستفحل في سوريا، فهي لا تبدو أكثر من كونها مسألة صراع دولي على تلك المنطقة التي تحاول الإدارة الروسية استثمارها كاستعادة لسيادتها الدولية المفقودة.

في ظل هذه التعقيدات الإضافية للوضع السوري والمختلفة عن سواها من الخصوصيات المتعلقة بكل ثورة من ثورات الربيع العربي، يمكن النظر إلى الإصرار الدولي المتمثل بالتفاهم الروسي الأمريكي للبحث عن حل سياسي كمخرج وحيد، وإذا كانت الجولة الأولى لمؤتمر جنيف الثاني قد حققت الهدف الأولي لذلك التفاهم، بإجراء المفاوضات بين طرفي النزاع السوري ممثلين بوفدي النظام والائتلاف الوطني كأكبر تجمع سياسي معارض، فإن عملية التفاوض بشأن تشكيل هيئة حكم انتقالية من المعارضة والنظام تبدو وكأنها ضرباً من الخيال، فالنظام الذي لن يتخلى عن موقفه المتمسك ببقاء الأسد متمتعاً بكامل صلاحياته القائمة كنظام مبني على سلطة الفرد، لن يقبل على أبعد تقدير بأكثر من تمثيل شكلي للمعارضة في تلك السلطة، في حين أن المعارضة السياسية وعلى الرغم من تبعثرها، فإن معظمها غير قادر عن التخلي عن الثوابت الأساسية للثورة بتحقيق أي انتقال للسلطة من يد الأسد، أما الرأي العام الدولي المدافع عن قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، والمتعاطف مع الشعب السوري في محنته، وعلى الرغم من رؤيته لكل الحقائق الدامغة على مسؤولية الأسد عن الجرائم المستمرة بحق هذا الشعب، لا يرى في إبعاده حلاً صائباً لما يعنيه ذلك من انهيار للنظام والدخول في أتون حرب أهلية طاحنة.

إن ما يجري التعويل عليه عبر الضغط السياسي على الأطراف الراعية لمؤتمر جنيف لتحقيق نقلة نوعية في مسار الأزمة السورية، سواء بتغيير الموقف الروسي كما هدفت زيارة وفد الائتلاف لموسكو، أو بالتوصل لتفاهم روسي أمريكي لفرض حل سياسي على السوريين في مفاوضات جنيف، قد لا يشكّل المخرج من الطريق المسدود الذي تسير عليه تلك المفاوضات في ظل الرفض الإيراني لوثيقة جنيف الأولى ومراوغة وفد النظام للتهرب من نقاشها، فيما يمكن القول بأن كل تلك المحاولات لن تخرج بأكثر من العودة الهامشية إلى مجلس الأمن، للبحث في بعض الحلول للأزمات الإنسانية المتلاحقة في تلك البقعة التي تلتهمها النيران التي يؤججها ملوك الطوائف وبقايا المستبدين؛ هكذا فمن الصعب تلمس أي طريق للمفاوضات التي لا يتوقع أن تكون أكثر من تتمة لما بدأت عليه في الجولة الأولى إلا كفقاعات إعلامية، مالم تحصل تغيرات نوعية في مواقف المفاوضين أو الراعيين الأساسيين، كما أنه من غير المتوقع حصول أي تغيرات عسكرية جذرية على الأرض، مالم تتغير مواقف أغلبية المسلحين في التوصل إلى صيغة جيش وطني منظم قادر على البدء بمعركة التحرير الشامل للوطن، من براثن النظام كما من كل تشكيلات المجاهدين الوافدين الداعمين والمحاربين للنظام (أصحاب المشاريع اللا وطنية في السعي لتقسيم البلاد وإقامة دويلات وإمارات طائفية وفئوية).

لا جدوى في مفاوضات جينيف ولكن

المفاوضات تفتح مساحة جديدة لكي يعود الوجه المدني للثورة الذي حمله شباب الثورة ثم غاب صوتهم مغرقاً بصوت السلاح

بسمة قضماني

سألني ابو عدنان منذ عدة أشهر عن آفاق العملية التفاوضية كونه في داخل سوريا يعيش محاصراً في دوما، يتحدث عبر سكايب بصوت يبدو متعباً، لكن مضمون كلامه لم يفقد صلابته، منذ أن تحررت وحوصرت دوما والنظام يفرض عليها عقاباً جماعياً منذ أكثر من عام. أبو عدنان يؤيد المسار السياسي ويعتبر المفاوضات شكل من أشكال الاستمرار في المعركة ضد النظام ولا بد من الخوض فيها. الموافقة على المشاركة في المفاوضات إذاً ليست خياراً فرض على المعارضة بل هو ما ترغبه العديد من أطراف المعارضة السياسية ومختلف فئات الشعب في الداخل بما في ذلك مجموعات عديدة حملت السلاح مرغمة وتريد اليوم كما كانت ترغب منذ البداية أن يتم التوصل إلى تحقيق مطالب الشعب بالطرق السلمية.

يبقى السؤال إن كان هناك أي أمل للتوصل الى أرضية مشتركة للتفاهم على أدنى الأمور مع ممثلي النظام؟ الجواب واضح مع الأسف فإن هذا الاحتمال شبه معدوم في الوقت الحالي وقد تبين ذلك من خلال فشل الأطراف الدولية في إحراز تقدم يذكر على أي من الملفين السياسي وحتى الإنساني.

كان من الواضح تماماً أن الوفد الذي يمثل النظام في مفاوضات جنيف ليس مخولاً بشيء عدا التصدي لأي طروحات والصمود في القاعة لمدة لا تزيد عن ثلاث ساعات يعود بعدها مجبراً الى رفع تقرير مفصل الى أسياده في دمشق لتلقي التعليمات، وهذا دليل على انعدام أي قدرة لديهم بالتفاعل مع طروحات. رأينا ذلك عندما بدأ وفد النظام بمهاجمة ممثلي هيئة الأمم المتحدة واتهامهم بالانحياز للمعارضة. في قاعة التفاوض يجلس رئيس الوفد يتحدث بسخرية عن كل من يدعم مطالب الشعب من دول إقليمية ودولية ويطرح موضوع واحد للتفاوض دون غيره ألا وهو موضوع مكافحة الإرهاب.

في الواقع كانت قاعة المفاوضات بين وفدي المعارضة والنظام هي أقل الأماكن أهمية لمعرفة ما إذا كان هناك أي أمل في إحراز تقدم في المسار السياسي، وكل ما جرى خلال أسبوع كامل من الجلسات المتتالية هو أن الأطراف كانت تراقب بعضها البعض وتسجل ملاحظاتها عمن ضحك ومن بدى متوتراً أو مستفزاً، بينما كانت تدور مشاورات مكثفة خارج القاعة بين بعثات الدول الكبرى في جينيف واجتماعات الدول المسماة بالفريق المصغر من أصدقاء الشعب السوري، وهم ١١ دولة، وغيرهم من وفود الدول المؤثرة في الصراع. اتضح ذلك في الجولة الثانية حين قررت الولايات المتحدة وروسيا الدخول في مسار المفاوضات بشكل رسمي من خلال عقد جلسة مع السيد الإبراهيمي بينما أجل الإبراهيمي الجلسات مع الوفدين السوريين.

حاولت الدول الغربية وإعلامها جاهدين تقديم الألف ومئتي مدني الذين أخلوا من حمص وكمية لا تذكر من الطعام الذي دخل المدينة المحاصرة دون أي ضمان لاستمرار دخول المساعدات في الأيام المقبلة على أنه إنجاز تم بفضل الجولة الأولى من مفاوضات جينيف. لكن حتى أثناء هذه العملية المحدودة لإغاثة الناس تم استهداف الشاحنات بقذائف الهاون، وقد أشار ممثلي الهلال الأحمر السوري إلى الحادثة دون أن يتجرأوا على ذكر مصدر القصف، وصمتهم يكفي لتحديد المسؤول عن محاولة التخريب. إن الأمم المتحدة اعتادت ألاعيب النظام الذي يرسل عناصر من قواته كي يطلقوا النار على القوافل ثم يتهموا الثوار بالجريمة، وأصبحت تنبه قوى الجيش الحر عندما تتعهد هذه القوى بأن تضمن سلامة قوافل الإغاثة عند دخولها وخروجها من منطقة ما بأنها (أي الامم المتحدة) تتوقع محاولات التخريب من قبل شبيحة النظام، وتطمئن الجيش الحر بألا يقلق من هكذا خدع وأن الأمم المتحدة ستتغلب على الاستفزازات التي تعلم تماماً مصدرها وأنها ستستمر في عملها رغم ذلك.

لا نتردد في القول بأن كل حياة تنقذ تشكِّل سبباً للفرح في هذا الزمن الذي جعل حياة السوري رخيصة إلى درجة أن الموت الجماعي لم يعد يذكر إلا بسطرين في الإعلام وذلك مهما كانت تداعيات الشروط السياسية والأمنية التي تم التوصل إليها. يبقى الخوف مبرراً من أن يكون مصير حمص كما يريده النظام، وأنه ما لم يستطع التوصل إليه بالقوة قد يحصل عليه بالوسائل السلمية وبإشراف الهيئات الدولية.

كان الائتلاف يخشى أن تنشغل الأطراف الدولية والوسيط الدولي بالأمور الانسانية على حساب الشق السياسي، لكن اتضح أن الشقين يغزيان بعضهما البعض وأن تحريك الأمور على المستوى الإنساني يصب في مصلحة المسار السياسي. فعملية إخراج المحاصرين في حمص القديمة تمت بحضور الامم المتحدة وممثلين دوليين عن منظمات الإغاثة، رأى هؤلاء بأعينهم أفعال النظام، ولم يكن ليصدقها غير شهود العيان المباشرين، فالغضب الذي أثارته هذه الممارسات أوصلت الأمر الى مجلس الأمن حيث طرح مشروع قرار حول الوضع الانساني. وجرى ذلك في مجلس الأمن في نيويورك، بينما كان الائتلاف يطرح خطة مفصّلة حول هيئة الحكم الانتقالي، ولن يتم حتى الآن صرف الانظار عن الشق السياسي. ذلك لأن النظام نفسه ليس في هذا الوارد فهو ليس مستعداً لإبداء أي مرونة حول الشق الإنساني كي يخفف الضغط عن نفسه على المستوى السياسي، بل، اتضح أنه مصمم على رفض التنازل على أي مستوى، معتقداً أنه يستطيع الاستمرار في التعنت دون خسارة.

لم نكن نعلم ما هو مصير مشروع القرار في مجلس الامن عند كتابة هذه السطور، لكنه من الواضح أن العملية التي بدأت في جينيف حركت الأطراف الدولية ووضعتها أمام مسؤولياتها بما في ذلك الدول التي تدعي مساندة الشعب السوري، كما أحرجت روسيا التي كانت أكثر الدول حرصاً على انعقاد مؤتمر جنيف على وجه السرعة لأنها كانت واثقة من قوة النظام على الأرض، وتعتقد أن المفاوضات قد تسير حسب رغبتها ورغبة النظام نتيجة ميزان القوى العسكري. وأصرت على أهمية أن يكون المسار التفاوضي ثنائي سوري ـ سوري. لكن روسيا لم تولِ أهمية لميزان القوى الأخلاقي الذي كان لا بد أن يظهر لصالح المعارضة ويذكر العالم بمشروعية مطالب الشعب السوري.

كنا بحاجة للمفاوضات كي نعيد الأمور الى حقيقتها ونتخلص من رواية النظام حول الحرب الأهلية والحقد الطائفي ونثبت أن الشعب يواجه دكتاتورية آل الأسد، ومنظومته، وليس أي فئة من المجتمع السوري.

قد تفشل المفاوضات أو قد تعلَّق. لم نخسر شيئاً ولم يتنازل وفد المعارضة عن أي من مطالب الشعب، والكرة اليوم في ملعب النظام وروسيا.

ماذا بعد!!!

مهند النادر

في زمن الثورة والصراع المحتدم بين النظام الدموي وبين مكونات الثورة والتغيير، لا يظهر حتى الان شكل الدولة التي يريد أصحاب التغيير إنشاءها. ولا شكل الدولة التي يستطيعون إقامتها في ظل موازين القوى الراهنة. المشترك بين الجميع هو رفض الدولة الأمنية المتسلطة، والدولة التي تتعامل مع المصالح العامة وكأنها ملك خاص للحكام، التي لا تعترف بالتنوع وتفرض تماهياً بين الحاكم والمحكوم، التي تدّعي أن دفاعها عن الكرامة الوطنية يعفيها من احترام كرامة الأشخاص وصونها. الدولة كمفهوم هي الهيئة المكونة من عناصر ثلاثة مجتمعة، مكان من الأرض يطلق عليه اسم إقليم، مجموعة من الناس تسكن الإقليم يطلق عليها الشعب، سلطة يخضع لها الشعب في الإقليم يطلق عليها الحكومة، تدير علاقات الشعب الداخلية فيما بينهم، وتدير علاقاتهم الخارجية مع الأقاليم الأخرى، وتحمي حدوده ضد الأعداء المحتملين.

انطلقت الثورة تحمل هموم وتطلعات أبنائها، للحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية ومكافحة الفساد والتعددية السياسية وسيادة القانون، بعد عقود من الاستبداد والقمع على يد الدولة الأمنية التي أوصلت المجتمع الى حافة الهاوية في المجالات كافة.

إن الشعارات التي رفعها المتظاهرون منذ بداية الثورة، تُلخص بالسعي نحو مطلب أساسي هو الوصول إلى دولة لكل مواطنيها، دولة المواطنة وسيادة القانون التي تُعطى فيها الحقوق والواجبات على أساس المواطنة، فلا يكون التمييز بين المواطنين بسبب الدين أو اللغة أو اللون أو العرق أو الجنس. وهي التي تضمن حقوق الإنسان وحرياته الأساسية واحترام التعددية، والتداول السلمي للسلطة، وتستمد شرعيتها من اختيار الجماهير، وتخضع للمحاسبة من قبل الشعب أو نوابه. والمواطنة جوهرها التسامح واحترام الآخر والقبول بالتنوع، والتسامح لا يعني التنازل أو التساهل بل يعني قبل كل شيء اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخر في التمتع بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية، وعدم التحيّز بالتشريعات إلى طرف دون آخر، وفي إنفاذ القوانين والإجراءات القضائية، وهو يقتضي أيضاً إتاحة الفرص الاقتصادية والاجتماعية، فكل استبعاد إنما يؤدي إلى الإحباط والتعصب والعدوانية.

إن أكثر المسائل حساسية واحتمالاً للصراعات والالتباسات الخطرة بين الأطراف التي تتصدى لها، هي العلاقة بين المجتمع المدني والدين عموماً، وفي صيغته الاسلامية خصوصاً. إذ يحاول البعض طرح شكل الدولة القادمة بعد إسقاط النظام وهي الدولة الدينية الإسلامية، هذا الشكل الذي يتراوح ما بين عودة الخلافة، إلى إمكانية اعتماد مبدأ الانتخابات، حيث لا نجد مفهوماً واحداً لشكل الدولة وإنما نلمس التخبط والضبابية في تلك الطروحات. إن هذه الرؤية لا تحقّق ما صبا إليه الشعب بانطلاقة ثورته حيث أن الدولة الدينية بجوهرها تميّز بين المواطنين على أساس تأويلات دينية تُلغي معنى الدساتير الحديثة، ولا تعرف الفصل بين السلطات حيث تحتكر السلطة والثروة في المجتمع، ولا تعترف بمبدأ المواطنة، ولا حتى بمعنى الوطن والمواطنية. وهي تتلاقى مع الدولة العسكرية في بعض النواحي، حيث أن الدولة العسكرية هي دولة مناهضة للديمقراطية، لا يهمهما سوى احتكار السلطة والثروة، كارهة للدستور والانتخابات النزيهة فهي التي اقترنت بتزوير الانتخابات، وصياغة الدساتير على هواها، وممارسة أشكال من التمييز ورفضت الاختلاف بكل أشكاله واعتقلت المعارضين من كل اتجاه. ولم يكن الدين لدى هذا النوع من الدولة سوى وسيلة تحقق المبدأ القديم «الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى» أي تأويل الدين لمصلحة النخبة العسكرية.

إن دولة المواطنة بمواصفاتها التي ذُكرت في البداية تشكل البديل عن الدولة الدينية والدولة العسكرية. فالدولة المدنية ليس لها نموذج واحد موجود في العالم الغربي، فتجارب العالم الآسيوي صنعت نموذجاً موازياً للدولة المدنية الحديثة في اليابان والصين وماليزيا وصولاً إلى تركيا.

هذا النموذج أكد أنه يمكن لحزب ذي صبغة دينية أن يؤسس دولة مدنية حديثة لا يكون الدين عائقاً لها بحال من الأحوال. والنموذج الأوضح هو تجربة ماليزيا مهاتير محمد، الذي قاد حزباً عبر عن الأغلبية المسلمة، واستطاع أن يبني نموذجاً آسيوياً لدولة مدنية حديثة دينها الإسلام. كذلك تجربة حزب العدالة والتنمية التركي، الذي مضى في بناء نموذج تركي لدولة مدنية حديثة. إن نجاح مهاتير محمد وغول وأردوغان في تأسيس دولة مدنية حديثة، يرجع إلى أنهم عندما وصلوا إلى الحكم تركوا الموروث الديني بكل خلافاته الفقهية والتأويلية، وتقبلوا القواعد والمبادئ المجردة للدولة المدنية الحديثة، وهي قواعد ومبادئ لا تستند إلى نصوص دينية مباشرة أياً كانت صفتها المذهبية، لكنها ليست خارجة على المبادئ الكلية، ليس للدين الاسلامي وحده بل لكل الأديان. ذات الشيء نجد ما يماثله في الحزب المسيحي الديمقراطي في ألمانيا أو الحزب الديمقراطي المسيحي في ايطاليا، فكلا الحزبين يعلم أن عليه التخلي عن صفته الدينية بمجرد أن يتولى حكم الدولة الحديثة في بلده. وكلاهما يعلم أن الدولة بمعناها التجريدي لا دين لها، وأنها أشبه بماكينة ضخمة تعتمد آلات وآليات ذاتية الحركة، وهدفها النهائي تحقيق السعادة لكل أبنائها من خلال تجسيد قيم العدل والحرية والكرامة الإنسانية والاستقلال الوطني.

كلنا سوريون.. صوت خارج ضجيج الصراع

فايز ســاره

لا يختلف متابعو القضية السورية على أنها تمر بمرحلة حرجة، ربما هي الأخطر منذ قيام الثورة في مارس (آذار) ٢٠١١، إذ تؤكد معطياتها ضعف المعارضة ومحدودية قدراتها، ونمو التطرف الديني والقومي، وانتشار القتل والدمار والتهجير، والتي تنعكس بصورة سلبية من النواحي السياسية والعسكرية والإغاثية في الداخل وفي بلدان اللجوء السوري، وهو وضع يسير بالتوازي مع «تحسن نسبي» في وضع النظام من خلال دعم قوي وفعال من حلفائه، ولا سيما روسيا وإيران وحزب الله، يجسده قتالهم المباشر معه على الأراضي السورية ودعمه سياسيا في المحافل الدولية، في ظل تراخي المجتمع الدولي ضد سياسات وممارسات النظام، الذي صنف قبل سنوات طويلة بين الدول الداعمة للإرهاب، قبل أن يغرق في ممارسة الإرهاب عبر أبشع أشكاله ضد السوريين منذ أكثر من عامين ونصف العام.

وسط تلك الصورة التي تحيط بسوريا والسوريين، يبدو من الأهمية بمكان، صعود صوت سوري، يفتح بوابات الأمل التي لن تغلقها أي وقائع بعد كل التضحيات التي قدمها السوريون، والإصرار المتواصل على سيرهم نحو الحرية والكرامة، بما هي أهداف الثورة الأولى، التي أطلقتها حناجر الشباب والأطفال والنساء. بل إن ذلك الصوت يذهب إلى الأبعد من ذلك في أمرين؛ أولهما ضرورة «عقد مؤتمر وطني عام، يضم كافة أطراف المعارضة السورية، بقواها السياسية والعسكرية الملتزمة بأهداف الثورة، ومساهمة منظمات العمل المدني، لصياغة أجندة عمل وطنية للمرحلة المقبلة»، والثاني تأكيد «أن خيار المعارضة والشعب السوري، كان ـ ولا يزال ـ حلاً سياسياً حقيقياً للأزمة، يفضي إلى تفكيك سلطة الاستبداد، وتنحية جميع رموزها وضمان انتقال سلمي للسلطة».

ويضيف الصوت السوري، الذي عبر عنه مؤتمر «كلنا سوريون» في دورته الثانية في إسطنبول أخيراً، إشارته الإيجابية إلى تحولين شهدتهما ساحة المعارضة السورية أخيراً؛ أولهما انضمام «المجلس الوطني الكردي» إلى الائتلاف الوطني لقوى الثورة المعارضة، ودعوة الأخير لضم القوى الأخرى من المعارضة على طريق توحيدها وتقويتها لتعزيز قدرتها لإنجاز مهمتها في تغيير النظام وإقامة بديل يستجيب لأهداف ثورة السوريين ووضع حد لمعاناتهم، التي تجاوزت في العمق أي كارثة هزت العالم في التاريخ المعاصر. والتحول الثاني تشكيل الحكومة السورية المؤقتة، التي من أول اهتمامها صياغة وتنفيذ خطط في مجال الخدمات والتنمية والإغاثة، تخرج بالسوريين مما أوقعهم النظام فيه بفعل سياسة القتل والتدمير التي ما زال يمارسها تحت سمع المجتمع الدولي وبصره دون أي موانع أو عوائق جدية.

لقد بدا لافتاً للنظر ومهماً، ارتفاع صوت «كلنا سوريون» لتأكيد حقائق كادت تضيع وسط أصوات الصراع المسلح وفي زحمة الكلام عن القضية السورية وتطوراتها وروابطها وتشابكاتها مع قضايا أخرى لا ترتقي إلى أهميتها، وإن كانت ذات صلة بالقضية السورية مثل الملف الكيماوي لنظام الأسد، وملف إيران النووي، والانتشار الإيراني في المنطقة، والتشدد الروسي في دعم النظام القائم في دمشق.

إن بين الحقائق التي أشار إليها المؤتمر مطالبة السوريين بـ «ضرورة الوقوف في وجه الخطر الذي يزداد يوما بعد يوم، داخل جسد المجتمع السوري، المتمثل بالتنظيمات الدينية المتطرفة، مهما كان اصطفافها، طالما تخدم أجندات غير وطنية، وسلاحها لا يخدم أهداف الثورة»، وإشارته الأخرى «إلى خطورة الطروحات والمخططات التي تهدف إلى تقسيم سوريا» وتأكيده «أن سوريا الموحدة أرضا وشعبا، هي الخيار الوطني الذي لا حياد عنه، وهو الضامن لوصول ثورة شعبنا إلى أهدافها في الحرية والكرامة وبناء دولة المواطنة، حيث الجميع متساوون بضمانة الدستور».

في محصلة مؤتمر «كلنا سوريون» الثاني، أن صوتاً سورياً، أراد تأكيد رؤية شاملة للقضية السورية في واقعها وتطورها وصولاً إلى المرحلة الراهنة بكل صعوباتها ومشاكلها، وهو في جانب آخر رسم ملامح تساعد في الخروج من المأزق الذي وصلت إليه القضية، دون أن يتخلى عن مواجهة التحديات المحيطة، ولا سيما في أمرين مهمين؛ أولهما: مواجهة نمو التطرف، وثانيهما: مشاريع تقسيم سوريا.

الإدارة الذاتية.... مطلب حق بإدارة باطلة

محمد جيجاك

«نحن نعلم أن مشروع «الإدارة الذاتية» ليس بمستوى طموح شعبنا لكن هذا هو الممكن أن نفعله الآن...»

بهذه البراغماتية الفظّة التي لا تخلو من حس التحايل والمراوغة واقتناص الطريدة في المناخ العكر، وموارية حول استحقاقات المرحلة، من خيارات أكثر جدية في الانخراط الفعلي للثورة، بحيث أن إسقاط النظام هو بوابة الحل للقضية الكردية في سورية، حيث أرادت قيادة ال pyd وبضع قوى كردية تدور في فلكها، المتمثلة بجناحها السياسي والعسكري ال ypg الاصطياد في الماء العكر، وإعلان الإدارة الذاتية في المناطق الكردية، عشية انعقاد مؤتمر جنيف ٢، في اختيار لتوقيت لا يخلو من تأويلات تفتح باب السؤال عن دوافع خفية لهكذا إعلان؟

لماذا الإدارة الذاتية ؟

من المشروع الذي طرحه عبدالله اوجلان «الأمة الديمقراطية» كحل لقضايا المنطقة التي يتواجد فيها الكرد، هذا المشروع السياسي الذي نظّر له فلسفياً في سرده لتاريخ الصراعات وأنظمة الحكم في العالم، واستخلص منها نظريته المسماة «الأمة الديمقراطية»، والتي ستتمثل في إيجاد نظام ديمقراطي ترضخ لها شعوب المنطقة في وحدة ديمقراطية، كونفدرالية، كإحدى بوابات الحل لمجمل قضايا وصراعات الإنسان والمجموعات في العالم، لاشك أن أوجلان يطرح مشروعه عالمياً، في سياق مناهضة الرأسمالية، على أنها النظام الأكثر لا ديمقراطية والأكثر إعاقة أمام تحرر الإنسان، الأمة الديمقراطية هو النظام الأكثر ملائمة لتحرر الإنسان والمجموعات البشرية، وهو النظام الأمثل لوحدة العالم..

مفهوم الإدارة الذاتية مستقى من مفهوم الأمة الديمقراطية إذاً، أي هي اللبنة الأولى التي سوف يبني فوقها نظام الأمة الديمقراطية الشرق أوسطية أولاً ثم «العالمية».

الإدارة الذاتية التي تم الإعلان عنها في المناطق الكردية، والتي بدورها تم تقسيمها إلى ثلاث كانتونات منفصلة، القامشلي، كوباني، عفرين، حيث لكل كانتون مجلسه التنفيذي الذي هو بمثابة سلطة تنفيذية منتخبة من برلمان غرب كردستان أو «روجآفا» في التسمية الجديدة المعتمدة من البرلمان، حيث باشرت مهامها فور الإعلان عن تشكيل اللجنة التنفيذية، والتي ستكون خدمية وأمنية بالدرجة الأولى.

بمراجعة حثيثة لمواقف الـ pyd منذ بداية الثورة في ١٥ آذار ٢٠١١ إلى تاريخ إعلان الإدارة الذاتية نستنتج أن المراوغة في طروحاته السياسية وتحالفاته وممارساته على الأرض كانت تشي بنواياه المعادية للثورة، بحيث أعلنت قيادة الحزب منذ اليوم الأول أنها لا تتضامن مع ثورة يقودها إسلاميون!. رغم أن الثورة في الشهور الأولى لم تكن واضحة المعالم، ولم تتوضح لها اتجاهات إيديولوجية.. فيما بعد أعلنت أنها ضد تسليح الثورة، كشعار تبنته عبر تحالفها مع هيئة التنسيق الوطنية، في حين هي كانت تسعى لامتلاك السلاح، وبوتيرة متسارعة، بحجة الدفاع عن النفس، ومع تشكل نواة الجيش الحر سارعت باتهامه بالعمالة لتركيا، في تناغم صريح مع ما كان يروجه النظام، من اتهام لتركيا باحتواء المعارضة و تحريضها للنشطاء والمعارضين.

أما ميدانياً.. تكفلت بأن تنوب عن النظام بقمع كل مظاهر التضامن مع الثورة في المناطق الكردية، تحت حجج واهية واتهامات تعسفية بحق النشطاء الكرد.. مما أحدث شرخاً في العمق الكردي الشعبي الذي هو تقليدياً معادٍ للنظام.. وعمل على إقحام الكورد أمام خيارين لا ثالث لهما، النظام أو التطرف الإسلامي، بحيث أن الماكينة الإعلامية التابعة للحزب بذلت جهود هائلة لتكريس رأي شعبي معاد للثورة، من خلال تضخيم الحالة الإسلامية الطاغية على إعلام الثورة، وكذلك استثمار الأخطاء التي تفشت في سلوكيات الجيش الحر، والمعارضة السياسية أيضاً، والتغاضي عن ممارسات النظام، لا بل، وتبريرها في مناسبات عدّة، مما خلق لطروحاتها مناخ جيد، قبول شعبي، تزامن ذلك مع رؤية السلاح جهراً في يد الكردي.

سياسة دغدغة المشاعر العاطفة القومية، عبر سيناريوهات عسكرية فاضحة، «محاربة البكارة في الأشرفية مثلاً، وبهذا استمدت قوتها الشعبية وبررت لنفسها محاربة خصومها من القوى الكردية التي أبدت تضامناً عملياً مع الثورة..

بدأت ال pyd بشعار تحرير غرب كوردستان، حتى استقطبت فئات واسعة من الجماهير، وانتهت بإعلان إدارة ذاتية، بعد أن استكملت انجاز قوتها العسكرية وفرض سلطة أمر الواقع على خصومها الضعفاء، المشتتين، المتخبطين في آلية رفض الواقع المفروض عليهم.

إعلام الحزب وعبر وسائله يبرّر ما قام به بأنه حالة مؤقتة: «الإدارة الذاتية: لا تعني في أي حال الابتعاد عن العمق السوري، إنها فقط إدارة مؤقتة تعني بتسيير الحياة الاجتماعية والحماية الأمنية لمناطق خارجة عن سيطرة النظام...؟»، هل نفهم من هذا التبرير بأنه لا طموح لهذا الحزب القومي الكردي، والذي كما يدّعي، كرّس كل نضالاته من أجل تحرير كردستان وهو حالياً يتراجع عن تحرير الجزء المتاح على الأقل؟ خاصةً وأنه يدّعي أن بإمكانه فعل ذلك اليوم وليس غداً!!.

أم أنه طمأنة القوى الفاعلة في العمق السوري «النظام» و«المعارضة» بأننا سندير أمورنا لحين انتهائكم من حسم خلافاتكم ؟ وهو بذلك يفترض نفسه طرفاً محايداً في الصراع؟؟!.

أم أن الموقف عملياً وعلى الأرض، هو طمأنة النظام، بأن مناطقنا ستكون بحكم الحياد وضبط أي نشاط معادي، لحين أن تعلن انتصارك على خصومك؟.

إعلان الإدارة الذاتية جاء بالتزامن مع كشف المستور عن داعش وأخواتها وتوابعهما، وعلاقاتهم مع النظام، وعشية إعلان موعد مؤتمر جنيف٢ واستبعاد الـ pyd من المشاركة، رغم محاولات روسية لإشراكه، وبرضا كامل من النظام، لكن الأمريكان رفضوا مشاركتهم باعتبارهم طرفاً مشكوك بمولاته للمعارضة، في حين أن ممثلين عن المجلس الوطني الكردي تم انضمامهم للوفد المعارض. هذه المشاركة التي سوف تطرح تساؤلاً في الشارع الكردي: حول من سيقود طرح القضية الكردية في المحافل الدولية؟ هنا كان لا بد من طرح مشروع الإدارة الذاتية في محاولة سحب البساط من تحت أقدام الخصوم.. وفي الوقت ذاته خلق التباس في سير المفاوضات خلال جنيف٢، بحيث توحي أن ثمة مستجد، وخطير، وهذا فعلاً ما راق للروس، ووافق برامجهم، غذ سارعوا بالتلويح بخطر التقسيم، إذا كان ولا بد..

إذاً.. الإدارة الذاتية لم تكن مطلب الجماهير الكردية الحالمة التي التفت حول الـ pyd، حتى في المستوى الذي نظّر له عبدالله أوجلان في كتابه «منفيستو الديمقراطية» إنما فرضت عليهم من قبل سلطة الأمر الواقع، وفقاً لأجندات تتعلق بسير مفاوضات جنيف٢ بحيث تكون حجة داعمة لحجج وفد النظام، الذي هو في موقف لا يُحسد عليه، وبحاجة لاستثمار أي حالة تغيّر مسار التفاوض

وتوظيفها، ككشف حساب لما آلت إليه الأمور في سورية، بفعل التدخلات الخارجية، ودعم الإرهاب.

هذا الإعلان بلا شك، بعيد كل البعد عن طموح الشعب الكردي في سوريا، عبر نضاله الطويل في درب نيل حقوقه الديمقراطية العادلة، كما كل الشعب السوري.

دولة القانون

من أجل القضاء على الشيفرة الوراثية للدولة البوليسية

المحامي غزوان قرنفل

دولة القانون.. ربما هي الصيغة الأرقى والقاعدة الذهبية التي تحصن حقوق الناس وحرياتهم من أي تعسف، وتتيح لهم إمكانات التعبير الحر عن رؤاهم وأفكارهم، وتعزز آدميتهم وترتقي بحياتهم الى المآل الذي يسعون إليه سياسياً واقتصادياً وثقافياً. فدولة القانون تعني خضوع الجماعة البشرية ـ حاكمين ومحكومين ـ لسلطة القانون الذي ارتضته تلك الجماعة فيصلاً بينهم في حسم خلافاتهم المتأتية عن إدارة حياتهم بكافة مناحيها، وتنظم علاقاتهم بتوازن يحفظ حقوقهم دون تعد أو شطط.

إن أهم ما يميز الدول الحديثة أنها تقوم على مبدأ مهم تنص عليه في دساتيرها، وهو تساوي المواطنين جميعاً بصرف النظر عن دينهم أو عرقهم أو جنسهم في الحقوق والواجبات، وخضوعهم جميعا لسلطة القانون الذي لا يجوز بأي حال أن يتناقض مع هذا المبدأ الدستوري، وكل دولة لا يخضع فيها جميع مواطنيها ـ حاكمين ومحكومين لسلطة القانون أو تمنح لفئة ما بالقول أو بالفعل مزيّة تجعل منهم فئة فوق القانون والمساءلة ـ هي بالضرورة ليست دولة قانون، بل، هي دولة بوليسية، لأن الدولة البوليسية هي الدولة التي لا تخضع السلطة الحاكمة فيها للقانون، بمعنى أن أدوات السلطة من أجهزة أمنية وعسكرية ورجال حكم تضع نفسها فوق القانون ولا تقبل الخضوع لأي شكل من المساءلة.

فهذه الأجهزة في الدولة البوليسية وبحكم حاجة السلطة الحاكمة لها ولدورها في ضبط حركة المجتمع وإدارة هذه الحركة ضمن الوجهة التي تراها تلك السلطة متناسبة مع رؤاها وأغراضها، وفي الشكل الذي لا يتيح له أي شكل من أشكال المشاركة في الحكم أو صناعة القرار، فإنها (أي الأجهزة) تتضخّم حجماً وتتغوّل سلطة لتصبح هي الحاكم الظل... وما من دولة تغوَّلت فيها أجهزة الحكم وأدواته، إلا وكانت دولة شمولية ديكتاتورية لا تقبل الرأي الآخر في أي شأن من شؤونها مهما كان صغيراً أو تافهاً، لذلك فكل الدول الشمولية هي دول متصحرة فكرياً وسياسياً وثقافياً لأن للرأي الحر فيها ثمن غال ينوء المجتمع عن سداده، إلا قلة من أبنائه.

والدولة البوليسية من وجهة أخرى، هي الحاضن الطبيعي للفساد، وهي التربة الأكثر خصوبة لنموه واستنباته، ذلك أن (السلطة المطلقة مفسدة مطلقة،) على ما قال به المفكر التنويري عبد الرحمن الكواكبي، وهو أمر بديهي نظراً لغياب آليات المراقبة والمحاسبة وانعدام الحريات الإعلامية، ولعل مراجعة متأنية لأي من تقارير الشفافية العالمية تثبت هذه الحقيقة، فلطالما ارتبط الفساد بالحكومات الديكتاتورية التي تحكم شعوبها بالقسر والقهر وأدوات الحكم البوليسي المنفلت من أي ضابط أو رابط. وإذا كان الفساد هو الوجه الآخر للاستبداد والدولة البوليسية فإن ذلك يقودنا بالضرورة إلى استخلاص نتيجة مؤداها أنه لايمكن بأي حال التفكير أو العمل على محاربة الفساد، بمعزل عن التفكير والعمل على الخلاص من البيئة الطبيعية المستنبتة له، ألا وهي الحكم المطلق، والعمل بدأب لبناء دولة القانون والحكم الرشيد.

هي الشيفرة الوراثية إذاً للدولة البوليسية ـ انتهاكٍ للقانون وعُلوٍ عنه، يستولد التعسّف والاستبداد، الذي يستولد بدوره الفساد والإفساد ـ تلك التي يتعيّن علينا العمل الجاد والـدؤوب لتفكيك روابطها وإبطال مفاعيلها من خلال العمل على بناء دولة القانون وتكريس مفهوم سيادته حتى لاتتغوّل السلطة على الدولة. فعندما تفترس السلطة الدولة يصبح طبيعياً أن تفترس بعد ذلك المجتمع والثروة والناس و... الحياة.

حوار ورصاص وفطر مسموم

ثائر موسى

في نهايات شهر حزيران من عام ٢٠١١ وكان قد مضى على بداية (انفجار) الثورة ثلاثة أشهر، تعالت أصوات الزيف الإعلامي في سوريا مبشرة بحوار وطني يريده القائد المفدى زعيم البلاد والقابض على أرواح العباد بشار الأسد، والذي كلف حينها نائبه فاروق الشرع بإدارة مؤتمر الحوار الوطني... مؤتمر طبّل له أبواق النظام وزمّروا مبشّرين بتلك الخطوة الديمقراطية المباركة، والتي تأتي برعاية وتوجيهات مباركة من «سيد الوطن..».

طبعاً مؤتمر الحوار ذاك لم يكن إلا ضرباً من تهريج أراد النظام فيه إقناعنا بمسرحية بائسة عن خطوات إصلاحية جذرية قادمة، والكل وقتها كان يعرف، واليوم يلمس أن القادم لم يكن إلا تخطيط النظام الشيطاني لجرِّ البلاد إلى الدمار والدماء، وما نراه اليوم، كنا نعرفه قادماً لامحالة، فمع القتلة ليس إلا الموت ينسج خيوطه السوداء قبوراً لكل من سوّلت له نفسه التمرد على الطاغية...

في ذلك الوقت، وقبل إنعقاد ذلك المؤتمر ـ الملهاة، نشرت على صفحتي الفيسبوك المقالة التالية التي عنونتها: (حوار مزعوم.. رصاص، وفطر مسموم)... واليوم وبعد مرور ألف يوم على ثورة شعب تركه العالم وحيداً في مواجهة الجزار، يتصاعد الحديث عن جنيف ٢، وعن ضرورة الحوار لإيجاد حل سياسي، وفي ظل كل ما يقال أرى نفسي أتذكر ذلك المقال الذي كتبته في ذلك الزمن من بدايات الثورة، وأعيد نشره اليوم، كي يعلم الناس بأن ذلك النظام لم يكن يوماً جاداً في أي حوار مع أي أحد.. إنه نظام الإبادة: (الأسد أو نحرق البلد) ولن يكون يوماً إلا هكذا فالعصابة الحاكمة في سوريا ليست إلا مجموعة من المولودين قتلة بالفطرة...

حوار مزعوم... رصاص، وفطر مسموم:

في مطلع الثمانينات من القرن الماضي نشأت نقابة التضامن في جمهورية بولونيا الشعبية، وعلى رأس تلك النقابة، وقف ليخ فاونسا ليقود مع آخرين من المعارضين البولون معركة تحرر بلاده من سيطرة النظام الشيوعي الذي كان رابضاً على صدور الناس منذ أربعين عاماً.. في ذلك الوقت كان حزب العمال البولوني الموحد، وبحسب الدستور، هو الحزب القائد للدولة والمجتمع.. وهكذا حرصاً من الحزب على «الأمان والسلم الأهلي»، فقد صدرت الأوامر بنزول الجيش البولوني إلى الشوارع، حيث سيطرت الدبابات على المدن، وتم إعتقال ليخ فاونسا والقيادات الأخرى لنقابة التضامن.. ورغم كل القسوة التي مارسها الجيش والأجهزة الأمنية، فإن النظام فشل في القضاء على المعارضة البولونية، وإضطر في النهاية لإخلاء سبيل فاونسا ورفاقه، لتعود المعارضة أقوى مما كانت، ولتبدأ رحلة النظام نحو النهاية، حيث أخذ يتداعى تحت ضغط الشارع الشعبي، الذي قرر ألا يتوقف بعد ذلك حتى إنهاء النظام.

في تلك العاصفة من الأحداث المصيرية، راجت في بولونيا طرفة ترددت في كل أنحاء البلاد، وغدت مادة للضحك في البيوت البولونية وخارجها، وهكذا فقد وصلت هذه الطرفة في إنتشارها إلى المعهد العالي للسينما والتلفزيون حيث كنت أدرس الإخراج السينمائي.. وتقول الحكاية: أنه، وأمام فشل كل إجراءات حزب العمال البولوني الموحد في مواجهة الحراك الشعبي، فإن الرفاق السوفييت في حزبهم الشيوعي، والذي كان مسيطراً على كل الأحزاب الحاكمة في دول المعسكر الشيوعي، اقترحوا على الرفاق البولون إرسال وفد من المعارضة إلى موسكو لإجراء حوار معهم، وذلك على أمل أن يتمكن الآباء الروحيون السوفييت من إقناع هؤلاء المعارضين بالتخفيف عن الإخوة الطيبين من حزب العمال البولوني الموحد.. وكان الأمر، فقد سافر وفد المعارضة البولونية إلى موسكو، وخلال عدة أيام أجريت «حوارات بناءة» معهم، ليعود بعدها الوفد المؤلف من ثلاثة أشخاص إلى بولونيا، لكن الملفت للنظر أنهم عادوا في ثلاثة توابيت؟؟!!! وحين فتح التابوت الأول كان هناك جثمان المعارض الميت ومعه ورقة كتب عليها: بعد سلسلة من الحوارات البناءة، وتبادل وجهات النظر في جو من الإحساس العالي بالمسؤولية، فقد قام هذا الضيف بنزهة إلى الغابة التي كانت مليئة بالفطر الشهي، وحين أكل الفطر، تبين لسوء حظه أنه كان ساما، فمات، وحين فتح التابوت الثاني تكررت نفس القصة عل الورقة المصاحبة للجثمان حيث كتب عليها: ذهب إلى الغابة.. أكل الفطر، فتسمم.. ومع فتح التابوت الثالث لاحظ الحاضرون وجود ثقب في جبهة الميت، وكأن رصاصة قد دخلت لتخترق الجمجمة وتخرج من الجهة الخلفية للرأس؟؟!!! وهناك أيضا وجدت ورقة كتب عليها: ضيفنا هذا رفض أن يأكل الفطر؟ أتذكر اليوم تلك الطرفة في وقت تطرح فيه مسألة الحوار بين السلطة والمعارضة في سوريا.. حوار بات مطلوباً في وقت يبدو فيه ألا أحد من الطرفين قادر على حسم الأمر لمصلحته.. حوار يصبح ملحاً لوقف ذلك النزيف المؤلم للدماء السورية من مدنيين وعسكريين.. لكن هنا لابد من القول أن المبادرة تبقى في يد السلطة، وذلك من حيث ضرورة الإعتراف بوجود حراك شعبي سلمي يشكل الطرف الآخر للحوار.. حراك لأبناء البلد، أهلنا وإخوتنا، فهم ليسوا دعاة فتنة، ولابيادق في مؤامرة.. هم سوريون حريصون على الوطن، يريدون لبلادهم أن تدخل في عصر جديد من نمط الدولة، حيث يسود القانون، ويتم تداول السلطة في إحتكام لصناديق الإقتراع، فمن هو اليوم في السلطة يصبح غداً في المعارضة، ومن لديه اليوم تفويض من الشعب، يعرف أن خدمة الوطن وتحسين معيشة المواطنين، هي الغاية الأساس لكل حكومة، وأن الفشل في ذلك يعني خسارة الانتخابات ومجيء آخرين إلى سدة الحكم.. بهذه الروح على السلطة اليوم حوار معارضيها، وأي روح أخرى إقصائية كانت أم تخوينية، ستعيدنا إلى ذكرى أولئك المعارضين البولون في حوارهم مع خلفاء الزمن الستاليني، ذلك الحوار المزعوم، حيث الرصاص والفطر المسموم.

حوار مع حازم نهار ٢/١

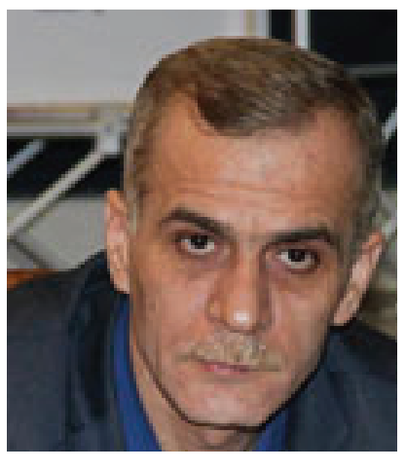

حسين برو

منذ أيام كانت جلسة الختام للجولة الأولى من مفاوضات جنيف ٢، وكنت أنت ذكرت سابقاً أنك: لست متفائلاً البتة أنه بالإمكان التوصل الى اتفاق سياسي في اللحظة الراهنة مع النظام السوري في ضوء المعطيات الواقعية، ولا يحلم أحد من أهل المعارضة والثورة أنه بالإمكان تحقيق أي إنجاز مهما كان بسيطاً، وذلك لأسباب عديدة... دكتور حازم، هل لنا أن نعرف رأيك بما جرى في جنيف ٢، وهل نستطيع التعرّف إلى هذه الأسباب التي منعتك من التفاؤل؟

إن التعامل مع جنيف مسألة دقيقة وحيوية، وتحتاج إلى وعي وإدراك خمسة مفاهيم أساسية في العمل السياسي، وهي: الخطاب السياسي، الموقف السياسي، الرؤية السياسية، التحليل السياسي، الأداء السياسي، وأستطيع أن أبسط الأمر كما يلي:

فعلى مستوى الخطاب السياسي، أعتقد من المعيب أن يخرج شخص ما في الإعلام ويقول «أنا ضد الحل السياسي، أنا مع الحسم العسكري»، مهما كانت الظروف. أي ينبغي أن يستند الخطاب السياسي في أي لحظة ومهما كان الوضع القائم على مقولة «نحن مع الحل السياسي من حيث المبدأ، لكننا نريد تحديد ماهية هذا الحل» حتى يكون الخطاب السياسي متوافقاً ظاهرياً على الأقل مع الأخلاقيات المعروفة والحقوق والقانون الدولي.

أما الموقف السياسي، فثمة معايير عديدة تحكم أي موقف تجاه قضية ما، لكن على العموم يمكن القول أنه من غير الشائع في عالم السياسة الاختيار بين الموقف الصائب والموقف الخاطئ، فالمنطق والواقع يقولان أن الاختيار يكون في الغالب الأعم قائماً على البحث عن الموقف الأقل سوءاً. موقفي الشخصي مثلاً اليوم هو المشاركة في جنيف، مع نصيحة أن لا نضع بيضنا كله في جنيف، بمعنى آخر فإن جنيف محطة إجبارية ويفترض استغلالها إلى الحد الأقصى الممكن، مع إدراك أن حل المشكلة السورية لن يكون في جنيف هذه اللحظة، وبالتالي يفترض إلى جانب جنيف البحث عن مخارج أخرى وتعديل ميزان القوى الكلي والشامل، فإذا كان الجهد المطلوب من المعارضة والثورة مثلاً هو ١٠٠ فإن ٥ بالمائة منه لجنيف والباقي خارجه.

أما الرؤية السياسية فهي الرؤية الاستراتيجية التي يفترض أن تكون البوصلة التي تحكم الموقف السياسي، ومن دونها يصبح أي موقف سياسي معلقاً في الهواء. هذه الرؤية السياسية هي التي تجعلنا لا نضع البيض كله في سلة أي موقف سياسي، بل إنها تتيح لنا أن تستخدم رهاناتنا وقدراتنا الأخرى في مستويات عديدة، وهذه بدورها تحسن من موقفنا السياسي.

أما التحليل السياسي، فإنه يعتمد على قراءة الواقع وموازين القوى من دون تدخل الرغبات والأماني، واستناداً لتحليلي للواقع فإنني لا آمل من جنيف الكثير في هذه اللحظة السياسية.

ثم يأتي الأداء السياسي، وهنا يفترض التفكير بكافة العناصر التي تجعلنا نستفيد من أي موقف سياسي حتى لو كنا نكرهه ومرغمين عليه، بمعنى ضرورة المحاولة لتحويل الموقف السياسي الذي نكرهه أو لا نأمل منه خيراً (كالذهاب إلى جنيف) إلى نصر ما باستخدام عناصر عديدة كالإعلام، التواصل مع الأمم المتحدة، ابتزاز الدول، تقديم كوادر سياسية وإعلامية حقيقية، استغلال فرص لحظية سانحة.... إلخ.

لنلاحظ هنا: كخطاب سياسي أقول أنا مع الحل السياسي، وكموقف سياسي أقول يفترض أن نشارك في جنيف، وكتحليل سياسي أقول أنا غير متفائل بجنيف، وكرؤية سياسية أقول يفترض البحث عن مخارج أخرى إلى جانب جنيف.

أما سر عدم تفاؤلي بمؤتمر جنيف فأسبابه كالتالي:

أولاً: أن النظام السوري بنية مغلقة لا تتوافق مع أي حل سياسي حقيقي، فهو يعمل استناداً إلى قانون «الكل أو لا شيء»، ولو كان منطق التفاوض والتسوية متوافراً لديه لما دخلت سورية أساساً في هذا النفق المظلم.

ثانياً: أن المعارضة وقوى الثورة ما زالت صفوفها مهلهلة، سياسياً وعسكرياً وإعلامياً، وهذه الحال لا يمكن أن تخلق الأمان والثقة لدى المجتمع الدولي لاتخاذ ما يلزم من قرارات صارمة ومؤثرة.

ثالثاً: أن الدول الداعمة للنظام السوري موحدة ومتماسكة (روسيا وإيران وحزب الله)، فيما الدول التي تعلن أنها داعمة للشعب السوري مهلهلة ومختلفة فيما بينها ومترددة، فضلاً عن وجود مصالح ومقايضات لم تنتهِ بعد بين المعسكرين الدوليين، خاصة ما يتعلق بالكيماوي السوري والنووي الإيراني، وربما تطرح مستقبلاً قضية تسوية الصراع العربي الإسرائيلي ومسألة مكافحة الإرهاب من المنظور الدولي.

أما أداء وفد الائتلاف في الجولة الأولى من المفاوضات فقد كان مقبولاً نوعاً ما، على الرغم من أن المطلوب أكثر من ذلك بكثير، إن كان على مستوى توحيد الصفوف داخل الائتلاف نفسه أو على صعيد تحقيق التماسك بين القوى السياسية والعسكرية، أو حتى على المستوى الإعلامي، فهناك الكثير مما يجب ويمكن القيام به في إطار المعركة السياسية التي تدور رحاها في جنيف.

المعروف عنك أنك تبتعد عن الشخصنة في أغلب كتاباتك وتحليلاتك، ولم يسبق لك الحديث عن شخصيات المعارضة لا مدحاً ولا ذماً، لذا استغرب الكثيرون مديحك لخطاب السيد أحمد الجربا رئيس الائتلاف الوطني لقوى المعارضة السورية في جلسة الختام من الجولة الأولى لجنيف ٢.

في العموم لا أكترث كثيراً بالأشخاص بل بالأفكار والسياسات، فجميعنا كأفراد إلى زوال، فضلاً عن أن الحكم النهائي على أدائنا جميعاً في المستقبل هم البشر الذين ما عاد من السهل خداعهم أو تضليلهم.

لا يعني مدحي لخطاب الجربا أنني أمتدح الجربا ذاته كفرد بل الأفكار التي وردت في خطابه، وقد تأتي لحظة سياسية أخرى أنتقد فيها موقفاً أو خطاباً ما للجربا أو غيره.

لقد أردت أن ألفت الانتباه فعلاً لما جاء في خطابه أولاً، كما رغبت أن أقدم رأيي في مميزات وعناصر الخطاب السياسي الذي أراه مفيداً للسوريين ولعيشهم المشترك ولبناء دولتهم المستقبلية، ويمكن أن يجد أذناً صاغية لدى المجتمع الدولي كونه جاء متوافقاً مع منطق السياسة الحديث والقانون الدولي.

كلمة الجربا جاءت في الحقيقة كقفزة غير معهودة في الخطاب السياسي الإعلامي للمعارضة السورية خلال السنوات الثلاث الماضية التي حشرت نفسها في لغة غريبة تقوم على الصراخ والشتم والشحادة والعواطف الجياشة والشعارات أو على لغة باهتة وباردة ينفع أن تصدر عن جمعية حقوق إنسان تعيش في سيبيريا أو سويسرا وليس في سورية. وهي بهذه المعاني كلمة مهمة تحتاج إلى سياسات وممارسات تتوافق معها وتبني عليها.

كلنا تابع وعرف أن أجساماً سياسية تعتبر نفسها ممثلاً عن السوريين، كهيئة التنسيق الوطنية، أو المجلس الوطني، أو جماعة الأخوان المسلمون، أو المنبر الديمقراطي، أعلنت مقاطعتها لجنيف ٢، كيف يمكن أن تقرأ هذا الفعل سياسياً؟

أعتقد أنه من أغبى المقولات السياسية التي ظهرت على السطح خلال الفترة الماضية هي مقولة «تمثيل الشعب السوري»، إذ فضلاً عما تشير إليه من عقل استبدادي، فإن هذه المقولة من السهل دحضها في أي لحظة، والسياسي الحصيف لا يضع نفسه في موضع بالإمكان مهاجمته وكسره بسهولة، إذ لا أحد يستطيع أن يبرهن حقيقة على الادعاء بتمثيل الشعب السوري من دون وجود حياة سياسية طبيعية بما تتضمنه من آليات ديمقراطية على رأسها الانتخابات الحرة والنزيهة.

كل طرف من هذه الأطراف المعارضة رفض جنيف لأسباب تخصه، فهي لا تشترك فيما بينها من حيث سبب الرفض، ويفترض بنا عدم الإنصات لتعليلات الرفض التي تأتي بصيغ عامة يمكن أن يستخدمها أي فرد أو شخص، على شاكلة التذرع بالمصلحة الوطنية وغيرها، فكل طرف ـ كما أظهرت التجربة ـ يفصِّل هذه المصلحة على مقاسه ومصالحه الضيقة أو بما يتناسب مع أوهامه عن الواقع السياسي وقناعاته الأيديولوجية.

على سبيل المثال، أعتقد أن الموقف السياسي لبعض هذه الأطراف كان سيتغير بالضرورة لو وصلتهم دعوة رسمية من الأمم المتحدة للمشاركة في مؤتمر جنيف، ووقتها كانوا سيذهبون تحت الذريعة ذاتها، أي المصلحة الوطنية.

العقل التبريري هو السائد، فكل موقف سياسي يتخذه أي طرف يمكن له ببساطة أن ينسج حول هذا الموقف جملة من المبررات ذات الصلة بالمصلحة الوطنية كما يفهمها أو يدعيها.

بعض الأطراف رفضت المشاركة ظناً منها أنها قد تخسر تأييد الشارع الشعبي، على الرغم من أنها ـ باعتقادي ـ قد خسرته منذ زمن بعيد، وبعضها ينظر بشكل طفولي إلى مؤتمر جنيف ويظن أنه نهاية المطاف وبالتالي يتضمن تصفية من نوع ما للثورة السورية وأهدافها، وهذا باعتقادي وهم وقراءة خاطئة، فلا أحد يمنعك من المشاركة في المؤتمر والاستمرار بما تراه مناسباً من سياسات وممارسات أخرى على أرض الواقع.

من يتابع قراءة مقالاتك في الصحف المتعددة أو آراءك المنشورة على صفحتك في الفيس بوك منذ أكثر من سنتين، يجدك تدعو للبحث عن حل سياسي، والتعامل مع الحالة السورية تعاملاً سياسياً.. لماذا برأيك بقي هذا الطرح يتيماً ولم يُفلح في تشكيل رأي عام قوي حوله؟

منذ البداية تخلى النظام السوري عن الممارسة السياسية وتحول إلى مجرد عصا أمنية، تطورت فيما بعد لتصبح أداة قتل وتدمير فحسب، وكردة فعل ساذجة اندرجت المعارضة السورية في السياق ذاته، إذ تخلت تحت ضغط العنف غير المسبوق للنظام من جهة، وهاجس كسب التأييد الشعبي من جهة ثانية، عن منطق العمل السياسي والحسابات السياسية واللغة السياسية المتوافقة مع العصر والقانون الدولي.

بعد الفيتو الروسي المتكرر في مجلس الأمن، طرحت مباشرة فكرة عقد مؤتمر دولي حول الوضع في سورية بمشاركة جميع الأطراف، وفي آذار ٢٠١٢ طرحت أنه ينبغي على المعارضة السورية بكافة أطيافها، وخاصة المجلس الوطني، أن تعلن بوضوح أنها تؤيد وتدعم خطة كوفي أنان بنقاطها الست من الناحية المبدئية، فالعالم يحتاج للاطمئنان أن المعارضة السورية تتقن «فن السياسة» وليس مجرد تكرار الحديث عن النظام المجرم وضرورة إسقاطه. الموافقة على هذه المبادرة كانت تعني أيضاً أن المعارضة تتحلى بالمسؤولية الوطنية والحرص على كل نقطة دم سورية، كما تساهم بوضع المجتمع الدولي كله وليس بعضه أمام مسؤولياته في حماية المدنيين وإيجاد حل ذي تكلفة خفيفة على السوريين، وفي حال تم إنجاز بنود الخطة يجدر بالمعارضة الموافقة على الذهاب نحو تفاوض سياسي لا يستثني أحداً من القوى السياسية والمجتمعية في سورية، بما فيها أهل النظام ممن لم تلوث أيديهم بالدماء، وقد طرحت هذا الرأي آنذاك على الرغم من إدراكي أن النظام لن يوقف مسلسل القتل والمجازر والاعتقال، لكنني كنت أرى ولا زلت أن وجود شيء من السياسة لدى المعارضة لا يضر.

وفي أيار ٢٠١٢ أكدت في مقالة لي حول مبادرتي كوفي عنان وجامعة الدول العربية، ورأيت أن هاتين المبادرتين تشكلان جوهر أي حل سياسي في سورية، إضافة بالطبع إلى ضرورة التوافق على طبيعة المرحلة الانتقالية وملامح سورية المستقبل بين القوى السياسية والمجتمعية والاقتصادية. وبالتالي نحن معنيون ـ كمعارضة ـ بإنجاح هذه المبادرات، على الرغم من معرفتي أن النظام لن يلتزم بها، لأنها ببساطة ستؤدي إلى سقوطه، لكن من الحكمة أن يصل العالم إلى القناعة التامة أن المعرقل الوحيد لهذا الحل هو النظام السوري. على كل حال هذه المبادرات هي ما قدمه العالم لنا في هذه اللحظة السياسية، والواضح أن هناك توافقاً دولياً وعربياً حولها، وبدلاً من شتم العالم والعرب، على المعارضة القيام بكل ما من شأنه فضح كذب النظام وخرقه للمبادرات من جهة، وتقديم المساعدة في المستويات كافة للمتظاهرين والثوار والنشطاء لتوسيع رقعة تواجدهم وتغيير ميزان القوى الداخلي لصالحهم أكثر فأكثر من جهة ثانية. وكنت أنطلق في مقاربتي للوضع آنذاك من مقولة الياس مرقص رحمه الله الذي كان يقول: «من لا يطرق الباب الضيق لا يطرق أي باب»، فمن يترفع عن القيام بالمهام البسيطة من المعيب أن يتنطع للقيام بالمهام الكبيرة، أي من لا يتعاطى بجدية مع المداخل الدبلوماسية والسياسية لا يحق له أن يتنطع لتمثيل شعب أو لقيادة بلد.

لم يفلح بالطبع هذا الأمر آنذاك، فالصوت الغوغائي كان طاغياً على ما عداه، خاصة أنه كان ممتلئاً بأوهام قرب سقوط النظام وتحقيق الانتصار، وللأسف كان مريدو هذا الصوت هم الأكثر انتشاراً آنذاك. مع ذلك لست حزيناً إزاء ذلك، فقوانين التاريخ تقول لنا بوضوح أن هذه الأصوات ستأخذ النصيب الأكبر من الوجود في ظل حالة الانقطاع عن السياسة لمدة نصف قرن التي عاش في ظلها الشعب السوري.

قرأت لك فيما معناه: أن الخطاب الوطني السوري ليس فعلاً أخلاقياً بل هو فعل سياسي بعيد النظر.. هل يمكن أن نعرف ماذا تقصد بالخطاب الوطني السوري؟ ولماذا تصر على اعتباره فعلاً سياسياً؟

ما أقصده أن الخطاب الوطني ليس فعلاً أخلاقياً فحسب، أي لا يجد شرعيته في طيبة وإنسانية ووطنية قائليه فحسب بل هو فعل سياسي يقوم على المصالح الحقيقية وينم عن قراءة دقيقة للمستقبل، فأياً تكن المسارات السياسية الواقعية فإن السوريين في المآل سوف يعيشون مع بعضهم في وطن واحد.

ما أقصده بالخطاب الوطني الخطاب الذي يستند إلى الثلاثية المكونة من المواطن السوري والشعب السوري والدولة السورية، فأي خطاب يمايز بين المواطنين السوريين على أساس الدين أو المذهب أو العرق هو خطاب غير وطني، وأي خطاب لا ينظر للسوريين بوصفهم شعباً واحداً موحداً هو أيضاً خطاب غير وطني، وأي خطاب يدعو إلى تقسيم الدولة السورية إلى دويلات متعددة مهما كانت الذرائع هو كذلك خطاب غير وطني.

هناك نمط من الخطاب السياسي حاول إرسال رسائل تطمين معينة لطوائف أو فئات مجتمعية سورية، فكانت رسائله مبتذلة وتشير إلى منطلقات طائفية على الرغم من محاولته إخفاءها، ولذلك كانت رسائله منفرة وجاءت بنتائج عكسية.

كيف تستطيع أن تقرأ واقع العمل العسكري للمعارضة في سوريا، وخاصة بعد التموضعات الجديدة للقوى الكبيرة؟ وهل نستطيع أن نعتبر أن هذه القوى بشكلها الحالي تستطيع أن تقدم للسوريين انتصاراً عسكرياً بشكل أو بآخر؟

من الطبيعي أن نجد في كل يوم اصطفافات وتحالفات جديدة على المستوى العسكري، وهذا ناجم من أسباب عديدة، أولها: تقطيع النظام لأوصال سورية بما جعل من الصعوبة حدوث تواصل حقيقي بين السوريين، وثانيها: العمل المخابراتي للنظام السوري وإيران في زرع عناصر تجسسية داخل القوى العسكرية المعارضة، وثالثها: وجود عدة مصادر للدعم العسكري والمالي لهذه القوى من دول إقليمية، وهو ما يجعلها رهينة توافقات أو خلافات هذه الدول، ورابعها: عدم وجود مظلة سياسية واحدة معترف بها من جانب هذه القوى بحيث تكون الأولوية للسياسة ولما تقرره وليس للعسكر وإنجازاتهم وما بأيديهم من عناصر قوة.

جميع العناصر السابقة تجعل من المستحيل أن تثبت القوى العسكرية المقاتلة على حالة محدّدة، وسوف نشهد دائماً تغيرات في تحالفاتها واصطفافاتها، وحتى في علاقاتها بين بعضها بعضاً. هنا يصبح تحقيق نصر عسكري على النظام أمراً مستحيلاً طالما بقيت العناصر السابقة هي المحددة لسلوك القوى العسكرية، إلى جانب بالطبع أن تحقيق الانتصار العسكري على النظام ومجموعاته المسلحة هو أمر يحتاج إلى قرار دولي واضح، وهو غير متوفر اليوم، ولا أعتقد أنه يمكن يتوفر في المدى القريب، فضلاً بالطبع عن الدعم الإقليمي عسكرياً للنظام من إيران وحزب الله والميليشيات العراقية.

في ظل الحالة الراهنة، وفي حال استمرار عناصرها المحدِّدة لها، فإن حصيلة المعارك العسكرية ستكون صفرية، بمعنى أن ما يحدث على أرض الواقع هو كسب معارك صغيرة هنا وهناك سواء من جانب القوى العسكرية المعارضة أو من جانب النظام، وهذه الحالة يمكن أن تطول ولا يربح فيها أحد، وسيكون عنوانها هو المزيد من الكوارث والتفسخ المجتمعي ودمار المدن والبنى التحتية.

كيف تنظر لدور التشكيلات السياسية المعارضة (الرسمية منها) وطريقة تعاطيها مع ظاهرة تفشي الكتائب الإسلامية على الأرض السورية، وأنا لا أقصد هنا جبهة النصرة وداعش فقط وإنما أغلب القوى العسكرية التي باتت لاحقة الإسلامية لازمة لها، واللون الأسود لا يفارق شكل شعارها المرسوم.

معظم التشكيلات السياسية القائمة منفعلة بالحدث ولا يحكمها سوى رغبتها بإسقاط النظام، ولا تتعاطى مع الواقع من خلال إستراتيجيات وخطط قريبة المدى وأخرى بعيدة، ولا تأخذ بالاعتبار ضرورة أن تخدم التكتيكات السياسية الأهداف الإستراتيجية.

هذا يجعل من القوى السياسية خاضعة للمزاج الشعبي، متخليةً بذلك عن إحدى مهامها المركزية في تنوير الشارع، بل على العكس تنتظر الشارع الشعبي وتغيراته ثم تصدر خطاباً سياسياً شعبوياً متناغماً معه بقصد كسب تأييده.

ولذلك وجدنا كثيراً من القوى المعارضة التي صمتت عن أفعال بعض الجماعات المسلحة المعارضة أو عن الخطاب المتطرف لبعضها الآخر تحت حجة أن المهمة الأولى هي لإسقاط النظام، لتكتشف هذه القوى فيما بعد أن هذا التستر قد أثر على سمعة الثورة السورية وتمثيلاتها السياسية داخل سورية وخارجها، وخاصة لدى الغرب.

من جهة ثانية، لم تتجرأ بعض القوى السياسية على الدخول في حوار صريح مع الجماعات الإسلامية المسلحة، كما ترفع بعضها الآخر عن هذا الحوار، وتعامل بنظرة فوقية لا تخفي «احتقارها».

يمكن للحوار والتواصل أن يقدم بعض النتائج الإيجابية، بخاصة إن انتبهت هذه القوى إلى أن التطرف الظاهر في جزء منه مصطنع، وفي جزء آخر منه نتيجة طبيعية ومنطقية لغياب السياسة عن المجتمع وغياب العمل المدني، والأهم هو الدور المركزي للنظام السوري في إذكاء التطرف بحكم العنف غير المسبوق الذي استخدمه.

الموت البطيء في قرى الحسكة

عارف حمزة

خاص كلنا سوريون

خاص كلنا سوريون

خاص كلنا سوريون

ظاهرة غريبة صارت تستفحل في قرى ريف الحسكة، وباتت تشكّل قلقاً هائلاً لدى جميع المواطنين في كامل محافظة «الخير». ظاهرة قد تؤدي إلى كارثة بكلّ معنى الكلمة، وهي ظاهرة تكرير النفط بطريقة بدائيّة من قبل بعض الأشخاص المعروفين بجشعهم، وبأنّهم مدعومين من قبل السلطات الأمنيّة، ومعروفون بسيرتهم السيّئة الصيت أخلاقيّاً ومهنيّاً.

منذ عام ونصف تقريباً ما عادت المحروقات تصل إلى محافظة الحسكة؛ بسبب تعطّل قطار الشحن الواصل إلى الحسكة من مصفاتي بانياس وحمص، وبالتالي تعطّلت الكازيات الخمس الموجودة ضمن المدينة، ناهيكم عن مئات الكازيّات في أرجاء المحافظة. ولكن بعد فترة ليست بالطويلة صرنا نشاهد مئات الكازيّات الفرديّة المرتجلة في كلّ شوارع مدينة الحسكة ومداخلها. صرنا نشاهد في كلّ مكان أشخاصاً مجهولين يضعون براميل البنزين والمازوت ويبعونها للناس بأسعار مرتفعة!، حتّى بجانب المقرّات الأمنيّة والرسميّة تواجدت تلك الحالة الغريبة، دون أن تقمعها السلطات الأمنيّة التي ما زالت مسيطرة على المدينة. لدرجة أنّ إشاعات كثيرة تقول بأنّ قطع المواد البتروليّة عن محافظة الحسكة هو أمر مقصود، ومقصود منه استغلال الناس من جهة، وتدمير الحياة البيئيّة هناك!!. وهناك إشاعات تقول بأنّ هؤلاء البائعين يبعون المواد البتروليّة لصالح جهات أمنيّة متنفّذة!!. ويبرّرون ذلك بأنّ جميع أولئك الأشخاص يحصلون على المواد البتروليّة بالرغم من انقطاعها عن كامل المحافظة، وبأنّ لا أحد يحاسبهم على احتكار وبيع هذه المواد بأسعار مرتفعة في حالة الأزمة، أو الحرب، التي تعيشها البلاد. وهم يؤكّدون كلامهم بأنّه لو قام أشخاص آخرون ببيع هذه المواد، من دون تنسيق مع الجهات الأمنيّة، سيتم إلقاء القبض عليهم فوراً، وتحويلهم للمحاكمة، مع حجز كلّ المواد والبضاعة وتغريمهم بمبالغ طائلة!!. بينما الآخرون، المدعومون والمرتبطون بالأمن، لا أحد يحاسبهم أبداً.

هذه التجارة المربحة بحاجة لأشخاص آخرين، كشركاء أيضاً لهم، قاموا بإنشاء مصافٍ بدائيّة لتكرير النفط الخام. هذا النفط الذي يقومون بجلبه بأسعار رخيصة جداً من محافظة دير الزور. وهذه المصافي توجد في مناطق متفرّقة من القرى الفقيرة المحيطة بمحافظة الحسكة. ومن المعروف أنّ هذه المصافي تفتقد لأدنى شروط الأمان؛ حيث حدثت الكثير من حوادث الحريق والانفجارات، التي أودت بحياة أشخاص كثيرين. هذا ناهيكم عن تعرّض الكثيرين، من بشر وحيوانات لحالات اختناق، وأمراض سرطانيّة كان من النادر ملاحظتها، خاصة سرطان الجلد، في هذا المكان. حيث وصلت حالات السرطان المكتشفة لحدّ الآن إلى /١٢٢/ حالة، منها /٨١/ حالة لمواطنين نزحوا من محافظة دير الزور، والبقية من قرى ريف الحسكة الفقيرة أصلاً.

من المعروف أنّ طريق الحسكة دير الزور يقع تحت سيطرة النظام، متمثّلة بقوّات الجيش والأمن، خاصة في مداخل المدينتين، وكلّ الشحنات البتروليّة تصل بحماية، وتحت أنظار، جيش النظام أو العناصر الأمنيّة، وهي التي تسمح بوصول تلك الشحنات الكارثيّة من النفط الخام إلى عصابات النفط في الحسكة، التي تقوم بدورها بتكريره بشكل بدائيّ خطير، على المواطنين والصحّة العامة، وبيعها للمواطنين بأسعار مرتفعة جداً، وذلك لقاء رشاوٍ يدفعونها لفروع الأمن، أو كشراكة بينهم.

قرى ريف الحسكة صارت مهدّدة بالموت البطيء، بل هي قطعت شوطاً جيّداً من الموت البطيء، جرّاء السموم الكثيرة القاتلة والمنبعثة من تلك المنشآت البدائيّة، وخاصة الغازات السّامة مثل الرصاص والكبريت...، وصارت الناس تشاهد غيوماً سوداء داكنة تغطّي سماء الريف بالكامل. كما أنّ التربة صارت غير صالحة نهائيّاً للزراعة، سواء البعليّة منها أو المرويّة. لدرجة أنّ الناس قاطعت شراء المحاصيل القادمة من الريف الفقير، كما قاطعت منذ فترة طويلة شراء المحاصيل القادمة من محافظ دير الزور، على قلّة وصولها إلى الحسكة، بسبب التلوّث البيئيّ، والخوف من الأمراض السرطانيّة الخطيرة التي صارت تنتشر بشكل مرعب هناك.

أحد الأطباء المختصّين بالتشريح المرضيّ حذّر من تفاقم عدد الإصابات بالأمراض السرطانيّة. وأوضح بأنّه خلال الأربعة أشهر الماضية اكتشاف أكثر من عشرين حالة سرطان متنوّعة. وهذا العدد لم يكن ليتم اكتشافه إلا خلال سنوات طويلة. وأرجع سبب ذلك إلى الكميّات الكبيرة للغازات السّامة المنبعثة من المصافي النفطيّة البدائيّة التي انتشرت بشكل كبير ومخيف في الآونة الأخيرة. وكذلك بسبب اعتماد المواطنين على المولّدات الكهربائيّة، التي تعتمد في تشغيلها على مواد نفطيّة غير نقيّة بشكل علميّ وصحيّ، وعلى احتراق الحطب للحصول على الكهرباء أو التدفأة. ونصح هذا الطبيب بأنّ الطريقة الوحيدة لمنع موات التربة في الجزيرة الخضراء، ومنع موات ينابيع المياه العذبة، ومنع موات المحاصيل الزراعيّة والحيوانات، ومنع حصول إصابات سرطانيّة جديدة قد تؤثّر في الجينات الوراثيّة للمواطنين... هو إقفال تلك المنشآت النفطيّة البدائيّة الخطيرة بشكل سريع وممنهج، تحت إشراف مختصّين في هذا المجال؛ إذ كما تمّ تشغيل هذه المنشآت بشكل بدائيّ وعشوائيّ، لا يجوز قفلها هكذا بشكل اعتباطيّ وغير مهنيّ واحترافيّ.

كثيرة هي الشكاوى التي تقدّمت بها هيئات مدنيّة ودينيّة وعلميّة وطبّية، وكذلك من خلال أفراد كثيرين، إلى مجلس محافظة الحسكة، وإلى المسؤولين في المحافظة، الذين وعدوا كثيراً كعادتهم بالعمل للقضاء على هذه الظاهرة، ولكن دون أن يقوموا بأيّ شيء يذكر؛ فأعداد مصافي تكرير النفط البدائيّة في ازدياد ملحوظ، والأمراض الغريبة كذلك في ازدياد.

أبناء الريف لمدينة الحسكة هم أصلاً فقراء، وتعرّضوا لسنوات طويلة لكثير من الإجحاف من قبل حكومات النظام الديكتاتوريّ، وسياسة الإقصاء عن كل مظاهر التنميّة، سواء الاقتصاديّة أو البشريّة أو العلميّة أو العمرانيّة أو الخدميّة... وظلّت منطقة «جنوب الرد»، وهو الوصف الذي يُطلق على الريف الجنوبيّ الفقير لمحافظة الحسكة، تعتمد على المساعدات الغذائيّة التي كانت تقدّمها هيئات الإغاثة التابعة للأمم المتحدة والمنظمات الإنسانيّة، حتّى قبل اندلاع الثورة السوريّة بسنوات طويلة. والآن يتمّ تدمير قراهم ومراعيهم وبيئتهم بشكل ممنهج من قبل المسؤولين الجشعين المتعاونين مع عصابات سرقة النفط وتكريره بشكل بدائيّ، وهو ما أدّى إلى تفريغ تلك القرى بشكل كبير؛ حيث ماتت ماشيتهم ودواجنهم التي كانوا يعتمدون عليها للعيش، بعدما تعثّرت المساعدات الغذائيّة الدوليّة في الوصول إليهم.

هناك عقاب جماعيّ يقع يوميّاً على المواطنين في ريف محافظة الحسكة، بل لكامل المحافظة، ليس من خلال تقاعس المسؤولين للقيام بواجباتهم الوظيفيّة، والأخلاقيّة على الأقل، لمنع التلوث البيئيّ الذي قد يحوّل سلّة الغذاء في سوريّا إلى صحراء قاحلة، بل بالضبط من خلال تعاون أولئك المسؤولين مع العصابات التي ذكرناها لقاء الحصول على أموال كثيرة.

إنّ ما يجري في قرى ريف الحسكة هي جريمة بكلّ معنى الكلمة. جريمة منظّمة تهدف لإفناء محافظة بكاملها؛ بمواطنيها وتربتها ومياهها وهوائها وحتّى حيواناتها، لقاء مبالغ طائلة يتقاسمها أناس تنطبق عليهم صفات المجرمين الأسوأ في عالم الجريمة.

الدفاع المدني في حلب

عبد الحميد شومان

خاص كلنا سوريون

تعتبر مهام الدفاع المدني ركن أساس من أركان الحياة المدنية.. وخاصة في مراحل الكوارث الإنسانية والحروب، وتعتبر منظومة الدفاع المدني في أي مجتمع من المجتمعات من أهم المؤسسات العاملة بلا إيديولوجيات مسبقة، ولا أجندات لاحقة، فهي تهدف وبالدرجة الأولى إلى إنقاذ الإنسان والبنية التحتية للمجتمع حينما تستدعي الحاجة.

وتعتبر مهمة تأمين حياة الإنسان أو إنقاذه من أصعب المهمات المطروحة في المرحلة الراهنة، وخاصة في ظل القصف المستمر الذي تمارسه قوات النظام الغاشم، والاضطرابات الأمنية التي تعيشها المناطق المحررة في مدينة حلب.

منذ اندلاع الثورة السورية قام نظام الدكتاتور وعصابته بفصل قطاعات ومؤسسات الدولة عن بعضها البعض، وبدلاً من أن يضع الإمكانيات البشرية والمادية في خدمة المجتمع والمواطن، جعل مهمتها تقتصر على خدمة وحدات وقطعات الأمن والجيش، وحولها من منظمة مجتمعية إلى إحدى القطع العسكرية، وقام بحملة اعتقالات وتوقيف بحق عدد كبير من موظفي هذا القطاع، ومن بينهم عناصر الإطفاء والإنقاذ في مدينتي حلب وإدلب، حتى أنه كان وفي حال حدوث أي كارثة (حرائق - انهيار مباني - حوادث سير) يمنع خروج آليات و عناصر الإطفاء والإنقاذ للقيام بمهامهم، وخاصة ضمن المناطق المحررة داخل المدينة وفي الريف، حتى أنه كان يقوم بتوقيفهم بعد عودتهم في أقبية الأجهزة الأمنية والعسكرية بحجة التعاطف مع المجموعات الإرهابية حسب زعمه، وبحجة القيام بأعمال دون العودة إليه وأخذ موافقته. وحتى أنه استهدف ولأكثر من مرة سيارات وعناصر الإطفاء والإنقاذ بقذائف الدبابات والرشاشات أثناء ذهابهم إلى مكان الكارثة للقيام بعملهم الإنساني.

لذلك وحين تشكيل مجلس محافظة حلب الحرة، كانت واحدة من أولى المهام هو تشكيل منظومة الدفاع المدني والعمل على تفعيلها وجعلها الضامن الحقيقي للوطن والمواطن في حال وقوع كارثة ما، ولما كان النظام قد فرّغ هذه المؤسسة من محتواها، ولما كانت مقارها قد تعرضت لقصف وحشي من عصابته، وأيضاً ما لحق بها من تخريب وسرقة في مرحلة الفراغ الأمني ما بعد سقوط النظام في المناطق التي خرجت عن سيطرته، لذا كان لا بد من الاعتماد على المعطيات الموجودة والاكتفاء الذاتي، ووضع خطط بديلة تلائم حجم الكوارث الموجودة في حلب وريفها.

ولكون عمل هذه المؤسسة لا يمكن أن يتم إلى بتوفر آليات ثقيلة، ومعدات متطورة، وكوادر بشرية متدربة وذات كفاءة، فإننا نستطيع القول أن منظومة الدفاع المدني في مدينة حلب وريفها تمر بصعوبات كبيرة، وببطء شديد في العمل وتنفيذ المهام الموكلة إليها، ومن أهم هذه الصعوبات:

- عدم توفر الآليات الكافية من آليات حفر وجرف ورفع خفيفة وثقيلة، وكذلك ندرة التجهيزات الميدانية كسيارات الإطفاء.

- عدم وجود سيارة ميكرو باص لنقل فرق الإنقاذ، وكذلك سيارة بيك آب لنقل معدات رفع الأنقاض الخفيفة..الخ).

خاص كلنا سوريون

- قلة الكفاءات، وقلة العناصر البشرية اللازمة، وضعف المكافآت المادية الممنوحة لهم.

- عدم وجود وسائل اتصال بين العناصر.

- سرقة العديد من الآليات من قبل تنظيم الدولة الإسلامية في الشام والعراق (داعش).

في ظل انعدام الميزانية المرصودة لهذا العمل، وعدم اهتمام الجهات الرسمية من المعارضة السورية، بمختلف مؤسساتها السياسية والخدمية والعسكرية، يعاني هذا القطاع من أزمة خانقة، وعدم قدرة على تنفيذ مهامه في هذه المرحلة العصيبة التي تتعرض إليها مناطق حلب الخارجة عن سلطة النظام، والتي تمطرها طائرات النظام المستبد بالبراميل المتفجرة، ومنذ مدة تزيد عن الأربعين يوماً، والتي تسببت باستشهاد اكثر من ١٠٠٠ مواطن مدني، ولم تفرق بين طفل وامرأة وشيخ، ودمرت العديد من المباني.

إن العمل الجبار الذي يقوم به الدفاع المدني عبر عناصره المتطوعة، ليعتبر إعجازاً حقيقياً، فكم حفروا التراب بأصابع يديهم لينقذوا شخصاً ما كان عالقاً تحت الأنقاض، وكم حملوا من الكتل الحجرية التي تتعب الآلات عن حملها، ليوسّعوا مكاناً، ويمنحوا فرصة من حياة لعائلة كادت أن تموت تحت أحجار بيتها. إن عناصر هذه المنظومة وبكل ما يقومون به، يعتبرون الجنود المجهولين الحقيقيين الذين يصلون الليل بالنهار، وبلا أي تجهيزات ولا دعم، فقط ليرضوا ضميرهم ويقوموا بواجبهم الإنساني اتجاه أخوتهم وأهلهم.

إن كل مؤسسات المعارضة وبكل تشكلاتها القائمة، من عسكرية تحتكر الكثير من الآلات ولا تضعها بتصرف هذه المنظومة، ومن مدنية تضيع في سراديب الروتين والبيروقراطية، وتتناسى دورها وواجبها بدعم من يضع روحه على كفه ليقوم بإنقاذ غيره، كلها دون استثناء ستصنّف من قبل الشعب الذي يُباد دون رحمة، كشريك في استمرار عملية القتل والخراب.

إن دعم منظومة الدفاع الوطني في حلب، يعتبر في هذه الأيام واجباً إنسانياً، بل، ووطنياً من الدرجة الأولى.

كل التقدير لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، والخزي والعار لكل من يتقاعس عن خدمة الشعب في أحلك أيامه.

مخيم اليرموك الجوع ولا الركوع

جهاد محمد

مخيم اليرموك جنوبي دمشق أكبر المخيمات الفلسطينية في سورية، ويعتبر عاصمة الشتات الفلسطيني، وعنوان التمسك بحق العودة الى فلسطين، يبلغ تعداد سكانه المليون نسمة منهم حوالي مئتي ألف فلسطيني والباقي من السوريين من المناطق والمحافظات السورية المختلفة التي وجدت في المخيم ملجأ لها عندما هجرت قراها وبلداتها بحثا عن فرص أفضل للحياة. وتميز مخيم اليرموك بنشاطه السياسي والثقافي الكبير الذي عمل على جذب الكثير من الناشطين السياسيين السوريين الذين وجدوا فيه مساحة للحركة والعمل لا تتوفر في باقي المناطق السورية.

تفاعل سكان المخيم مع الثورة السورية منذ اللحظات الاولى، حيث شكل المخيم مركزاً مهما في مساعدة المناطق المحيطة به (التضامن، الحجر الأسود، يلدا، الميدان)، في إيواء النازحين وتأمين مقومات الحياة لهم وفي إسعاف الجرحى وتأمين المستلزمات الطبية والإنسانية لهذه المناطق المنكوبة بفعل بطش النظام. وحافظ المخيم على حيادية نسبية في الصراع الدائر، إلا أن سلوك بعض الفصائل الفلسطينية الموالية للنظام وتشكيلها للجان الشعبية في مواجهة مجموعات الجيش الحر المتمركزة في المناطق المحيطة أدخل المخيم لهيب الصراع الذي تُوج بقصف مسجد عبد القادر الحسيني ودخول المجموعات المسلحة اليه وبدء المعارك فيه وعلى أطرافه مع قوات النظام واللجان الشعبية التابعة له.

حاصرت قوات النظام المنطقة الجنوبية ومن ضمنها مخيم اليرموك حصاراً خانقاً ومنعت دخول وخروج الناس منه إلا عبر مدخل المخيم الرئيسي عند منطقة الجسر حيث ذاق الأهالي كافة أنواع الإذلال والإهانة على هذا المعبر إضافة الى الاعتقالات المتواصلة.

تقول الحاجة أم أحمد من سكان المخيم: «كنا نقف ساعات طويلة حتى يسمحوا لنا بالخروج من المخيم بعد التدقيق على الأسماء والأشخاص مع سماعنا لأقذر الشتائم وعند العودة في اليوم التالي نصطف في طابور طويل للتفتيش وكانوا يصادرون ما نحمل من خبز وطعام في أغلب الأحيان».

مع استمرار الحصار بدأت تنفد المواد الغذائية والأدوية من المنازل والمستودعات والمشافي واتسعت المعاناة عندما منعت أجهزة النظام دخول اي شكل من المساعدات إلى المخيم منذ ما يقارب الشهور السبعة مما أدى إلى تفشي المجاعة وظهور حالات التجفاف بين الأهالي وبدأ تساقط شهداء الجوع وأصحاب الأمراض المزمنة بالتوالي يومياً وقارب عدد شهداء الجوع الموثقين المئة شهيد من أطفال ونساء وشيوخ حتى اليوم.

عانى الأهالي الأمرّين من الحصار والقصف والقتل اليومي الذي يمارسه النظام من جهة، ومن تجار الحروب من جهة ثانية، حيث شهدت أسعار المواد الغذائية «إن وجدت» ارتفاعا أسطورياً، يقول أبو محمد عودة: «ما يجري غير معقول كيلو الرز بـ ٨٠٠٠ ليرة والعدس ٦٠٠٠ ليرة هذا اذا وجدتهم». ومما يزيد من أزمة المخيم عدم وجود أراض زراعية بسبب الكثافة العمرانية فيه مما أدى الى عدم توفر الخضار وإذا توفرت من المناطق المحيطة تكون بأسعار فلكية، يقول الحاج أبو العبد من سكان المخيم: « نحنا ساعدنا الجميع لما كانوا بحاجة فتحنا الدور والمساجد والمدارس وتقاسمنا اللقمة مع بعض، اليوم الكل تخلى عنا، بيصير من الله أنه جرزة السبانخ بـ ١٢٠٠ ليرة والفجل بـ ١٠٠٠ ليرة .. وهم من عند جيراننا في يلدا».

أيام وليالي بات الأهالي على آلام الجوع ومعاناة أطفالهم، وتناولوا الماء والملح وما تيسر من انتاج الأرض بين المخيم والحجر الأسود من «خبيزة ورجل العصفورة» حيث كلفت هذه المغامرة العديد من الشهداء والجرحى الذين ينتظرهم قناص النظام ليتسلى بهم بدمٍ بارد.

حاول الناشطون والجمعيات الإنسانية ومؤسسات الأمم المتحدة السعي لإدخال المعونات الإنسانية إلى المخيم وإخراج الحالات المرضية الحرجة والمزمنة منه، معظم هذه الجهود باءت بالفشل بسبب سياسة النظام ومنهجية عمله في حصار المناطق الخارجة عليه تحت عنوان «الخضوع أو الجوع». وكان يلقي باللائمة على المجموعات المسلحة مدّعياً أنها تمنع إدخال المعونات إلى المخيم، وساهمت في دعم افتراءاته الفصائل الفلسطينية الموالية وحتى وفود منظمة التحرير التي كانت تكرر ما يقوله النظام، رغم تكذيب الوقائع لهم ففي اتفاق تم عبر الجبهة الشعبية القيادة العامة والأمن السوري من جهة والهيئة الوطنية للإغاثة في المخيم من جهة أخرى بتاريخ ١٠ -١- ٢٠١٤ لإخراج ٣٠٠ حالة مرضية من المخيم وتمت الترتيبات داخل المخيم، وفي اللحظات الأخيرة يتم قنص ممثل الهيئة الوطنية « فؤاد العمر» وإصابته في صدره مما أفشل العملية، وصرّح بعدها بأيام عبر فيديو مسجل

ان الطلقة جاءته من جهة تمركز مجموعات فتح الانتفاضة الموالية للنظام.

وبتاريخ ١٣ -١ -٢٠١٤ تعرضت قافلة المعونات التابعة للأونروا والتي وافق النظام على إدخالها إلى المخيم (عبر المناطق الجنوبية من جهة السبينة وحاجز الكابلات وهي منطقة اشتباكات عادة) لإطلاق النار عليها وعودتها وعدم وصولها للمخيم وحاول النظام والأطراف الفلسطينية الموالية له إلقاء المسؤولية على المجموعات المسلحة المعارضة له بإطلاق النار على القافلة رغم كل الشهادات الميدانية التي تؤكد ان قواته من أطلق النار، ولو كان جاداً بإدخالها إلى المخيم فمدخله معروف ويسيطر عليه النظام والقيادة العامة ولا داعي لكي تسير القافلة في المناطق المتوترة حتى لا تصل الى المخيم كما يقول الناشط أبو نزار.

وخلال الأيام الماضية جرى الاتفاق على إدخال المساعدات المقدمة من الأونروا عبر منطقة الجسر في شارع راما الذي يعتبر خط تماس بين قوات النظام ولجانه من جهة والمجموعات المسلحة داخل المخيم من جهة أخرى حيث تظهر أثار الدمار الكبير الذي خلفته الاشتباكات وقذائف الهاون والدبابات، وتتم عملية التوزيع ببطء شديد وفي ظل انتشار مكثف لعناصر النظام الذين يقومون بإهانة وإذلال الأهالي الذين يتقاطرون منذ الفجر إلى المنطقة أملاً بالحصول على كرتونة مساعدات تقيهم الموت جوعاً لعدة أيام قادمة.

عن رحلة الذل للحصول على المعونات التي تتبجح الأمم المتحدة بنجاحها في إدخالها إلى المخيم «أبو محمد» رجل مسن أعياه الجوع والمرض من سكان المخيم صادفناه وهو عائد ووجهه تكسوه الخيبة لعدم قدرته على الحصول على المعونات يقول: « إنني لاجئ منذ عام ١٩٤٨ وأحمل بطاقة الأمم المتحدة ولكن لا أحد على وجه الأرض يهتم بي وبأمثالي... إنني أموت ببطء بسبب المرض والجوع وهذا هو اليوم الثالث وأنا أحاول الحصول على كرتونة الطعام... انظر إلى الركام على الأرض... الشباب يتعثرون في سيرهم هنا فكيف لكهلٍ مثلي أن يأتي كل يوم ويحاول شق الطريق بين كل هؤلاء الناس؟؟ لم أستطع».

وقد اشتكى الكثير من الأهالي من الطريقة التي يتم فيها توزيع المساعدات حيث تقول السيدة «سميرة»: لدي أربعة أطفال يبكون يومياً من شدة الجوع وقد أتيت البارحة منذ ساعات الفجر الأولى وبقيت حتى آخر النهار وحاولت أن أحصل على كرتونة مساعدات ولكن هناك أعداد كبيرة جداً من الناس بالإضافة إلى قيام عناصر من القيادة العامة بتقديم المساعدات لأقاربهم وبدون الالتزام بالدور كما أنهم يأخذون أكثر من حصة»، وتكمل السيدة حديثها بغصةٍ: «أخي نحن لا نريد أن نتسوّل من أحد فقط افتحوا لنا الطريق كي نخرج».

ويرى السيد ناصر أنه من المعيب التسويق لانتصارات وهمية على حساب شعب أنهكه الجوع والحصار كما يقول: «لقد تجاوز شهداء الجوع في المخيم المئة شهيد وبعد كل هذا الموت تتبجح الأونروا والحكومة السورية والقيادة العامة بالمعونات التي لا تكفي حتى إن تم توزيعها بطريقة عادلة لأكثر من ٢٠٠ عائلة من أصل ١٨٠٠٠ محاصرين داخل المخيم منذ قرابة العام تقريباً».

من جهته، قال مسؤول الهيئة الوطنية الأهلية الفلسطينية في مخيم اليرموك فؤاد العمر: إن أهالي اليرموك يعيشون حياة مأساوية قاتلة، حيث لا غذاء ولا ماء ولا كهرباء. وأوضح أنه لم يتم إخراج إلا ٦٥ حالة مرضية خطيرة إلى خارج المخيم من أصل ٤٢٢ حالة رغم الحصول على موافقة أمنية من السلطات السورية على ذلك. وأضاف أنهم حاولوا منذ خمسة أيام إخراج ١٨٠ حالة حرجة للغاية من المخيم، لكنهم تعرضوا للقنص، مما اضطرهم للعودة أدراجهم.

عند سؤال عدد من أهالي المخيم حول تجاوب العالم مع مشكلتهم يقولون إنهم يثمنون الجهود المبذولة ولكنها هزيلة ولا ترقى إلى مستوى المأساة التي يعيشونها فالمخيم لا يزال محاصرا بشكل كلي منذ سبعة أشهر تقريبا بدون طعام أو مياه أو كهرباء وناشدوا كل من يستطيع المساعدة في فك الحصار المفروض عليهم أن يبذل الجهد اللازم لذلك.

إن الاتهامات التي وجهتها بثينة شعبان للفلسطينيين بأنهم وراء ما أسمته إرهابا منذ الأسبوع الأول في عمر الثورة لم تكن محض كلام، فهي تعي تماما ما تقول رغم أنهم حاولوا توجيه الاتهامات بعد ذلك نحو المجموعات التكفيرية ليحافظوا على عدد أكبر من جمهور المصفقين للممانعة والمتاجرة بالقضية الفلسطينية. وقد أصبح جليا اليوم أن ما يقوم به النظام ضد الفلسطينيين مدروس ومخطط له ضمن برنامج يهدف إلى تهجيرهم وتدمير الحاضنة الاجتماعية (المخيم) رمز العودة لفلسطين، لذلك لم ينتظروا المبررات لضربه بكل ما وحشية وبكل صنوف أسلحتهم وآخرها كان سلاح الجوع.

لوحة إعلانية

ثورة الخالدي

(أنا بحب عفرين، أنا بحب الـ YPG)

هذه هي اللوحة الإعلانية التي تشاهدها إذا ما استطعت المرور من الأوتستراد الجديد في مدينة عفرين. وأول ما يخطر للذهن البشري - لأي إنسان يُشاهد هذه اللوحة - سؤال افتراضي وعفوي... لماذا؟

هذه اللوحة الإعلانية تُذكّر كل المواطنين السوريين بأيام البعث الزائل عندما نشاهد اللوحات الإعلانية المُحنّطة في الساحات العامة وفي الشوارع الرئيسية في جميع مُدن سوريا... (اليد العليا هي اليد المُنتجة في دولة البعث\ ما هي مدرستي؟ مدرستي سوريا\ بالروح بالدم نفديك يا بشار\ صور وتماثيل رئيس سوريا المخلوع (بشار الأسد) \ الخ...).

لا يختلف الأمر كثيراً في مدينة عفرين.. فهذه الصياغات (اللوحات الإعلانية) التي تُحاول فرض سيطرتها الذهنية على الشعب والإعجاب بسياسة الحزب الواحد وجناحه العسكري في عفرين، هي شكل من أشكال سياسة البعث الزائل.

إن المنهج الذي يمارسهُ حزب العمال الكردستاني في المنطقة الشمالية من فرض نفسهِ الحامي للشعب الكردي ضد ما يسميهم السلفيين وأعداء الوطن، والترويج على أن الجيش الحر هو جيش للصوص، هو منهج قسري بامتياز وإقصائي إلى أبعد الحدود ويتنافى مع ديمقراطية العمل السياسي، والتفكير بإيجاد حلول عملية وسياسية لإسقاط النظام..

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل ازداد الأمر بقمع أي مظاهرات أو حراك لتعبير الشعب عن غضبه واستيائه من الوضع المأساوي التي تعانيه مدينة عفرين (معيشياً\ فكرياً\اسياسياً).

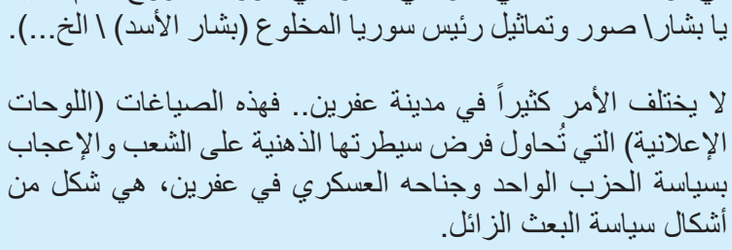

فأصبحت عناصر YPG تقمع أي مظاهرة أو أي شخص يتجرّأ للمطالبة حتى بالعرائض إن كان في توفير المياه أو الكهرباء أو تخفيض أسعار المعيشة الأساسية من غذائيات وحليب للأطفال، فقد تم اعتقال ٢٠ امرأة كردية في إحدى المظاهرات التي خرجت في ساحة البازار في قلب عفرين.. مع عمليات للتعذيب الجسدي والنفسي والإهانات الشخصية، وتم التهجّم على بعض الناشطين من حزب البارتي إثر احتفالهم بافتتاح مكتبهم في مدينة عفرين من قبل عناصر YPG والجهاز المخابراتي والأمني (الأشائس). وملاحقة الناشطين المدنيين الذين يعملون لصالح الثورة السورية.

هذه السياسة ساعدت في نشر أشكال اقتصاد الأزمة من فتح مجال لمكاتب السمسرة في تصريف الأموال، الدولار واليورو، والتحكّم بمصائر الشعب في منطقة عفرين.

وتكثر الأمثلة لممارسات عناصر حزب العمال الكردستاني بالقمع والإهانة، ليس فقط على مستوى العمل السياسي بل أيضاً على مستوى المعيشة، فقد وصلت أسعار الطعام الأساسية إلى مالا يستطيع مواطن أن يأكل أكثر من (بطاطا\ رز مسلوق\ برغل) طبعاً الاعتماد الأساسي على الغذاء النشويات، لغلاء أسعار الخبز، حيث وصلت ربطة الخبز إلى ٣٠٠ ل.س (سياحي) وإلى ٢٥٠ ل.س (خبز عادي). فعائلة مكونة من ٤ أو ٥ أشخاص بحاجة يومياً إلى ٥٠٠ ل.س فقط كخبز.

إن حال الأمور تسوء جداً في عفرين.. ومازال حزب العمال الكردستاني يُقدّم دعمهُ المُستميت للنظام السوري دون أن يفهم بأن هذا النظام أصبح طي النسيان - عاجلاً أم آجلاً - .

اللوحة الإعلانية فعلاً مشكلة قصوى في ذهنية السياسة السورية القديمة.. وما يتفتق عنها من عقليات شمولية حزبية ضيقة.

(أنا أحب عفرين.. أنا لا أحب الـ YPG) والرأي الشخصي يجب أن يُحترم...

عرض موجز لمسح المعامل في شمال غرب سوريا

المنتدى الاقتصادي السوري

قام المنتدى الاقتصادي السوري بعملية مسح لحوالي ٧٠٠ معمل ومصنع في شمال غرب سوريا، حيث قام بمناقشة نتائج بحثه هذا في مؤتمره الأول خلال شهر ديسمبر من العام الماضي، وتم عرض التقرير أمام عدد من الصناعيين و رجال الأعمال السوريين لمناقشة سبل التعاون وإعـادة تفعيل دوران عجلة الصناعة السورية.

مقدمة عن البحث:

تعد منطقة شمال غرب سورية ـ محافظات حلب وإدلب ـ من بين مناطق سورية الأكثر تضرراً نتيجة القصف والأزمة الحالية في سورية. يقدم هذا البحث دراسة معمقة تحليلية لواقع المصانع الموجودة في شمال غرب سورية، وكيفية تأثر هذه المصانع بالأزمة الحالية، وذلك عن طريق تحديد ما هي المعامل التي تعمل حالياً، وما هي المعامل التي لا تعمل، وما هي المعامل التي يمكن أن تستفيد أكثر من غيرها عند تمويل عملية إعادة التأهيل لهذه المعامل.

إن لهذه المعامل دوراً حاسماً في تقدم الاقتصاد المحلي، من خلال إنتاج السلع الغذائية لتلبية الاحتياجات الأساسية للشعب السوري، وأيضاً من خلال توفير فرص عمل للسكان المحليين، لأنه لا يمكن اعتبار جميع الناس ضحية مباشرة لأعمال العنف، فقد كان الأثر الاقتصادي للصراع واسع النطاق.

وقد نتج عن البحث العديد من النتائج والاحصائيات عن العوامل المؤثرة على عمل المصانع ومنها:

حالة الأمان:

	Frequency	Percent	Valid Percent	Cumulative Percent
Very safe	28	3.8	3.9	3.9
Relatively safe	477	65.0	65.6	69.5
Relatively dangerous	155	21.1	21.3	90.8
Very dangerous	67	9.1	9.2	100.0
Total	727	99.0	100.0	
Undetermined	7	1.0		
Total	**734**	**1.0**		

يظهر الجدول أعـلاه حالة الأمـان من وجهة نظر أصحاب المصانع. فوصفت نسبة٣,٨٪ فقط من المصانع بأنها تقع في مناطق آمنة جداً، وبنسبة ٦٥٪ بأنها تقع في مناطق آمنة نسبياً، ولكن بنسبة ٢١,١٪ تقع في مناطق خطرة نسبياً، وبنسبة ٩٪ تقع في مناطق خطيرة للغاية، أي المناطق الخطرة أكثر من ٣٠٪ في المنطقة المدروسة.

أما بالنسبة لأنواع الأخطار، فلقد تم مناقشة كل نوع على حدة، كما هو مبين في الشكل البياني رقم (٦)، فمثلاً : أكد ٧٥,٧٪ وجود خطر نيران المدفعية، كما أكد ٤٨,١٪ وجود خطر القصف الجوي، بينما أكد ٦٢,٤٪ وجود خطر الجماعات المسلحة وجميعها أخطار كبيرة؛ أما بالنسبة لوجود الألغام الأرضية فقد أكد ٩٩,٦٪ عدم وجودها.

حالة الإنتاج:

يظهر الشكل البياني المبين ادناه أن هنالك نسبة كبيرة من المصانع تقدر بـ ٤٢ ٪ من المصانع لم تعد تقوم بالإنتاج، وإن نسبة ٢٤ ٪ من المصانع تنتج بأقل من ربع طاقتها الإنتاجية، وكذلك نسبة ٢٣٪ تنتج أقل من نصف طاقتها الإنتاجية، فقط نسبة ١٢٪ من المصانع أن تنتج أكثر من نصف طاقتها المعتادة قبل النزاع.

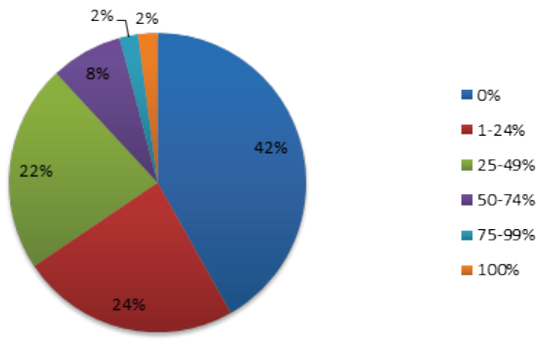

هنالك عدة أسباب لانخفاض الانتاجية في المصانع، منها:

تنخفض الإنتاجية مع انخفاض ساعات العمل بشكل طبيعي، ونتيجة البحث تبين أن ٣٣٪ من المصانع لا تعمل نهائياً، وهذا هو السبب الرئيسي، لكن لا تعمل لماذا؟ البنود التالية قد توضح ذلك.

ـ من دراسة الكهرباء لاحظنا أن ٩٧٪ من المصانع تعتمد بشكل رئيسي على الكهرباء، ونسبة ٦٠٪ منها تستخدم الكهرباء أقل من ٣ ساعات، وقمنا بحساب نسبة المصانع التي تعمل أقل من ٣ ساعات وإنتاجيتها صفر فبلغت ٥١,٤٪، وحسبنا أيضاً معامل الارتباط بين انخفاض عدد ساعات الكهرباء وانخفاض الإنتاجية فكانت قيمته ٠,٢١ رغم أن الارتباط ضعيف لكنه طردي ومقبول باحتمال قدره ٩٥٪، أي كلما انخفضت ساعات استخدم ساعات الكهرباء تنخفض الإنتاجية، وهذا ما تؤكده البيانات الواردة في الجدول رقم (٨) .

ـ حالة عدد العمال: قمنا بحساب معامل الارتباط بين عدد العمال وحالة انخفاض الانتاجية فكانت قيمته ٠,١٩ أيضاً رغم انخفاض قيمته لكنه طردي ومقبول باحتمال قدره ٩٥٪ .

ـ حالة توفر المواد الأولية: درسنا العلاقة أيضاً بين توفر المواد الاولية وحالة انخفاض الانتاجية فكانت قيمة معامل الارتباط ٠,٤٧ طردي معنوي باحتمال قدره ٩٥٪، أي الانخفاض في الانتاجية يعود جزء كبير منه إلى عدم توفر المواد الاولية بالكميات المطلوبة. فتلك المصانع التي تنخفض إنتاجها عن ٢٥٪ فإن تقييم حالة المواد الأولية لديها كان سلبي جداً.

كما تبين لنا من نتائج المسح أن هنالك أثر لحالة المصنع وحالة الآلات، فمعدلات الارتباط كانت ضعيفة لكنها معنوية.

أيضاً تعكس لنا حالة القصف بالطيران والقصف بالمدفعية انخفاض الإنتاجية، فإن المصانع ذات الإنتاجية الصفر بلغت نسبتها أكثر من ٥٠٪ في المناطق التي تتعرض للقصف.

ـ أما بالنسبة لحالة الأمان، تبين لنا أن هنالك عدد كبير من المصانع نسبتها ٦٣٪ موجودة في الأماكن الخطرة لا تعمل إنتاجيته صفر، وهذا من أهم أسباب ارتفاع نسبة المصانع التي إنتاجيتها صفر في المسح. رغم ذلك فإن الارتباط بين انخفاض درجة الامان وانخفاض الانتاجية كانت غير معنوية، ويعود ذلك إلى عدم تمكن الباحثين من الوصول إلى كافة المصانع المتواجدة في المناطق الخطرة.

النتائج:

لقد ناقشنا في هذه الدراسة تحليل ومعالجة بيانات مسح المصانع في شمال غرب سورية، ركزنا على عرض واقع المصانع في المنطقة المدروسة، وكان اهتمامنا منصباً على إظهار أهم أسباب انخفاض الإنتاجية. وفيما يلي أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة.

١ ـ ٦٩٪ من العمال خارج المصانع.

٢ـ ٦٣٪ من المصانع تعتمد على الماء في إنتاجها.

٣ ـ ٩٧٪ من المصانع تعتمد على الكهرباء كمحرك أساسي لعملها.

٤ ـ ٧٨٪ من المصانع تستخدم الكهرباء أقل من ستة ساعات يومياً، أي أقل من ربع الوقت.

٥ ـ ٣٠٪ من المصانع لا يحصلون على الخدمات الاساسية.

٦ ـ ٣١٪ من المصانع تعمل في أماكن خطرة.

٧ ـ ٧٥٪ من أصحاب المصانع أكدوا وجود خطر ناتج من نيران المدفعية.

٨ ـ ٤٨٪ من أصحاب المصانع أكدوا وجود خطر ناتج من القصف الجوي.

٩ ـ ٦٢٪ من أصحاب المصانع أكدوا وجود خطر ناتج من الجماعات المسلحة.

١٠ ـ تعد حالة المصانع وحالة المعدات جيدة نوعاً ما في المصانع المدروسة.

١١ـ عدم توفر المواد الأولية الجيدة بالشكل الكافي في المصانع المدروسة.

١٢ ـ ٦٦٪ من مصادر المواد الأولية محلية.

١٣ ـ ٨٧٪ من الإنتاج للسوق المحلية.

١٤ ـ ٣٣٪ من المصانع لا تعمل نهائياً ، و ٢٨٪ من المصانع تعمل بشكل جزئي.

١٥ ـ ٨٪ من المصانع لا تدفع أجور نهائياً، و ٢١٪ من المصانع تدفع أجور بشكل غير منتظم.

١٦ـ ٤٢٪ من المصانع لا تنتج نهائياً، و ٣٠٪ من المصانع تنتج أقل من نصف إنتاجها.

١٧ ـ ٨٠٪ من مصانع الأدوية تنتج أقل من ربع طاقتها الإنتاجية بسبب عدم توفر المواد الأولية ذات النوعية الجيدة رغم ظروف العمل الجيدة.

التوصيات:

بالنظر إلى الأزمة الحالية وعدم الاستقرار السياسي في سورية، إن التدخل لمساعدة المنشآت الصغيرة والمصانع في شمال غرب البلاد لا تزال محفوفة بالمخاطر، مع ذلك يمكننا على ضوء النتائج السابقة أن نقدم التوصيات التالية:

١ـ يجب الضغط بكافة الطرق لوقف القصف الجوي والقصف المدفعي وملاحقة العصابات المسلحة التي تقوم بعمليات السرقة والنهب، وتحقيق نسبة أعلى من الأمان مناسبة لعودة المصانع إلى العمل.

٢ ـ ينبغي العمل على تأمين الموارد الاساسية للطاقة المحركة في المصانع، وأهمها : الكهرباء والماء، وذلك عن طريق إجراء الإصلاح الضرورية لشبكتي الكهرباء والماء وتأمين مولدات كهربائية مناسبة للمصانع.

٣ ـ ينبغي العمل على تأمين الخدمات الأساسية من المرافق الصحية، وخدمات الطوارئ، والنقل، والصرف الصحي، وترحيل النفايات، مثلا: سيارات اطفاء، ونقاط طبية، وسيارات جمع نفايات، وسيارات نقل عامة.

٤ ـ يجب العمل على توفير المواد الأولية لمعظم المصانع بأسعار مخفضة، وخاصة للمصانع التي تنتج الحاجات الضرورية للشعب السورية، والحصول على التزامات ذات مصداقية من المصانع للبيع محلياً بمعدلات أسعار مناسبة، وعدم الانخراط في زيادات الأسعار غير المبررة.

٥ ـ عندما يتم دعم المصانع بالاحتياجات السابقة تستطيع العمل واستخدام أكبر عدد من العمال وتحقيق نسبة عالية من الانتاجية وتأمين احتياجات المواطنين من الحاجات الاساسية.

٦ ـ كما أن تشغيل العمال يؤمن لهم دخلاً يكفيهم أن يعيشوا حياة كريمة، ولا يفكرون بترك منازلهم والنزوح إلى أماكن أخرى داخل أو خارج سورية.

٧ ـ لا ينبغي أن تعتبر إعادة تأهيل المصانع الوسيلة الوحيدة لتقديم المساعدة، ففي بعض الصناعات ولاسيما الدوائية منها، فإن أهم ما يجب تأمينه هو المواد الأولية بأسعار مدعومة. وينبغي أيضاً تحفيز هذه المصانع على بيع منتجاتها في السوق المحلية.

٨ ـ أخيراً، لم تتعرض الدراسة إلى الكثير من المصانع في المناطق الأكثر خطراً، والتي تم تدمير جزء منها أو معظمها، وإنما الدراسة اقتصرت على بعض المناطق الآمنة نوعاً ما، كما بينا ذلك في أول البحث. يوصي المنتدى الاقتصادي السوري القيام بدراسة متممة أو جديدة تضم مصانع أكثر في كل المناطق، لإعطاء صورة أكثر دقة عن واقع الصناعة في سورية.

«سويت بالأرض»

تقرير منظمة حقوق الإنسان حول عمليات الهدم غير القانوني في أنحاء سوريا ما بين ٢٠١٢ـ٢٠١٣

ت: مها خضور

إن صور الأقمار الصناعية التي استعرضتها منظمة حقوق الإنسان في التقرير، تبين أن المباني التي تم هدمها في حي القابون الواقع شمال دمشق تغطي مساحة ١٨ هكتاراً. وقد تم هدم هذه المباني على دفعتين، الأولى استمرت من ١٦ تموز إلى ٣ تشرين الأول في العام ٢٠١٢، أما الموجة الثانية من الهدم فقد استمرت من ١ تموز إلى ٢٠ تشرين الثاني في العام ٢٠١٣. يبدو أن الموجة الأولى من الهدم ذات صلة مباشرة بالاشتباكات العنيفة التي دارت بين القوات الحكومية والمعارضة فقد وصفت تلك الاشتباكات وخاصة يوم ١٥ تموز٢٠١٢ بأنها «أعنف أشكال الاشتباكات التي تمت في العاصمة دمشق» حيث تم الإبلاغ عن اشتباكات عنيفة دارت في الأحياء الجنوبية في تلك الفترة كالتضامن والميدان وكفرسوسة وبرزة والقابون.

استطاعت القوات الحكومية إجبار المعارضة على التراجع. وقال وليد الناشط السياسي من حي القابون لمنظمة حقوق الإنسان: إن القوات الحكومية شنّت هجوما كبيراً ضد المنطقة، وذلك باستخدام طائرات الهيلوكبتر والمدفعية والدبابات وذلك كان بتاريخ ١٦ تموز عام ٢٠١٢ بعد عدة أيام من القتال الضاري. وبعد ذلك دخلت القوات الحكومية مدعومة بعدد كبير من الميليشيات الموالية لها والتي أطلق عليها اسم «الشبيحة»، دخلوا المنطقة وعلى حد قوله إنهم نهبوا المنازل والمحال التجارية. وحول نفس الموضوع ذكر المرصد السوري لحقوق الإنسان بتاريخ ١٩ تموز ٢٠١٢ أن الجيش السوري اقتحم حي القابون مستخدما عددا كبيرا من الدبابات واستمرت تلك العملية لغاية ٢٣تموز. كما ذكر نشطاء من المعارضة أيضا حينها أن القوات الحكومية استعادت السيطرة على جزء كبير من دمشق.

بعد تراجع قوات المعارضة من القابون، شرعت القوات الحكومية بهدم المنازل والمحال التجارية في الحي، إذ بدأ الجيش بهدم المباني بتاريخ ٢١ تموز عام ٢٠١٢ واستمرت عملية الهدم لمدة ٥٠ يوماً. وأضاف أن الجيش هدم ١٢٥٠ محلاً تجارياً و٦٥٠ منزلاً. كان على ١٨٠٠ عائلة إخلاء بيوتهم حيث كانت تسكن ٢ ـ ٣ عوائل في كل منزل، ولم يسمح لهم بالبقاء أكثر من ثلاث ساعات لحزم أمتعتهم والرحيل. أما أصحاب المحال التجارية فقد أمهلهم الجيش مدة ٢٤ ساعة للإخلاء. ولم يكن الوقت كافياً حيث جمع الناس بعض أغراضهم الهامة وبالكاد خرجوا قبل انتهاء المدة المحددة، وتم نشر العديد من أشرطة الفيديو على يوتيوب التي تظهر عمليات الهدم في القابون، وعُرض أحدها في شهر تموز، ويوثّق جرافة وهي تقوم بهدم المنازل والمحال في الحي، تحت حراسة الجيش، حيث تظهر في الصور دبابة عسكرية. والمناطق التي هُدمت هي التي شهدت أعنف المعارك فهي خط المواجهة بين القوات الحكومية والمعارضة، وهي امتداد الخط من حي البعلة وسوق التهريب وصولاً إلى المنطقة الصناعية. وهذه المناطق كلها قد دمرت الآن بشكل كامل بحيث تضمن الحكومة عدم تعرضها لأي هجوم منها.

إعلام الائتلاف الوطني في مؤتمر جنيف ٢.. هل نستفيد من التجربة

د.خولة حسن الحديد

قبل شهرين تقريباً من انطلاق مؤتمر «جنيف٢»، نظمت البعثة السويدية في الأمم المتحدة جلسة إعلامية خاصة بسوريا، دعت إليها سفراء وممثلي الدول الأعضاء في الأمم المتحدة وعدد كبير من وسائل الإعلام العالمية وممثلي منظمات حقوق الإنسان، ضيوف الجلسة هم شاب كان قد خرج للتو من منطقة داريا بريف دمشق، و شابتان خرجتا للتو أيضا من منطقة المعضمية المحاصرة منذ شهور طويلة، تحدّث فيها هؤلاء عن تجاربهم الشخصية، وأدلوا كشهود عيان بروايات تبين الوجوه المختلفة للانتهاكات التي يمارسها النظام السوري بحق الأهالي بما فيها المجازر الرهيبة، جميعهم كانوا قد فقدوا بعض من أفراد أُسرهم، و أجابوا عن استفسارات وأسئلة الحضور وزودوهم بالوثائق والصور المناسبة.

أستحضرهذا الحدث الهام عند الحديث عن إعلام الائتلاف الوطني السوري بشكل عام، و ما ظهر عليه من ارتباك في مؤتمر جنيف تحديداً، فكم جلسة مثل تلك الجلسة كان يُمكن للائتلاف أن ينظم مستغلاً الأضواء المُسلّطة على المؤتمر عالمياً؟؟

لو تطرقنا إلى الجانب الإعلامي للائتلاف الوطني بشكل مهني واحترافي، نجد أنه لم يظهر أبداً كما هو مأمول منه خلال مؤتمر جنيف٢ بجولتيه المتتاليتين، فعدا عن المؤتمرات الصحفية التي عقدها السيد «لؤي الصافي» كممثل لإعلام الائتلاف، لا يمكن الحديث عن نشاط إعلامي حقيقي، وحتى تلك المؤتمرات كان ينقصها الكثير من الإعداد المُسبق والحشد اللازم لها من إعلاميين مؤيدين لقضية الشعب السوري وحقه بالحرية، هذا إضافة إلى الوفد الإعلامي الذي شكّله الائتلاف وكان شبه خالٍ من أصحاب الكفاءات والخبرات الطويلة في هذا المجال، هذا الوفد الذي لم نلحظ له وجود ولا أي نشاط مميز ولافت، كما غاب عن المؤتمرات الصحفية التي عقدها وفد النظام السوري الذي استفرد به موالوه، ولم يكن هناك حضور ملحوظ لأي وسيلة إعلامية تمثل صوت الثورة عدا قناة «الأورينت» الفضائية التي ضاع صوتها ضمن الحشد الكبير الذي أعدّه وفد النظام.

ما الذي كان يجب فعله لتحقيق نجاح إعلامي؟؟

بالطبع لا يمكن الفصل بين إعلام الائتلاف خلال مؤتمر جنيف ومسيرته الإعلامية بشكل عام، ولا يمكن لأي إعلامي محترف أن يقرّ بوجود إعلام مهني حقيقي للائتلاف الوطني، ليمكننا من القول أنه حقق جزء من رسالته المنوطة به، وهذا ما أثبتته الوقائع والصورة المغلوطة/ المعكوسة عن الثورة ومعاناة الشعب السوري الثائر، والتي نجح النظام السوري الفاشي في تعويم صورة مغايرة لها، مؤكداً على نظريته الأولى في وصم الثورة بالإرهاب والطائفية وكل فعل مشين، مُغطيا على كل جرائمه ملصقاً إياها بالثورة، فما الذي كان ينبغي على الائتلاف الوطني فعله لتحقيق كسب إعلامي ملحوظ لصالح الثورة؟.. سأشير هنا إلى عدد من النقاط الهامة التي يُمكن لاحقاً التوسع فيها بتفاصيل أكبر.

كان على الائتلاف تأسيس قاعدة بيانات (معلومات) لأهم وسائل الإعلام العالمية المتواجدة في أوربا وأمريكا خاصة (وكالات الأنباء، المحطات الفضائية، أهم الصحف المطبوعة، أهم الإذاعات المحلية، أهم مواقع الانترنت) ومؤسسات العمل المدني الحقوقي والجمعيات الأهلية، وبناء علاقات جيدة داخل المؤسسات المذكورة، ويمكن أن يتم ذلك عبر الإعلاميين والمثقفين السوريين والعرب المقيمين في الخارج، وعبر رابطة الصحفيين السوريين، ورابطة الكتاب السوريين... وغيرها، إضافة إلى إعداد بنك معلومات خاص بالثورة يتضمن معلومات إحصائية، وصور، ووثائق، أفلام فيديو، أفلام ثائقية قصيرة لكل أحداث الثورة والتركيز على الجانب الإنساني والحقوقي (تدمير المدن والمباني، التهجير، الاعتقال، القتل تحت التعذيب بالسجن، القتل بأساليب بدائية، قضايا الأطفال، المرأة ، الحصار، تدمير المشافي ومنع العلاج... الخ)، وقد كان من المُفاجيء أن يسأل الائتلاف عن أسماء المعتقلين ويباشر جمع المعلومات خلال انعقاد المؤتمر، ليتقدم بأسماء ٣٥ ألف معتقل بينما المعتقلين تجاوزوا المئتي ألف مُعتقل!!

على وفد الائتلاف الإعلامي وفريقه العامل بهذا المجال تزويد وسائل الإعلام المذكورة بقصص إنسانية موثقة، ومعلومات وشهادات، أرقام وصور، عن كل جانب من جوانب الثورة، إضافة لإعداد خطة لمخاطبة المجتمع المحلي عبر في جنيف عموم سويسرا ووسائل إعلامها أيضا، وكذلك التواصل مع منظمات العمل المدني، وتنظيم أنشطة خاصة بالثورة لكشف الحقائق خلال المؤتمر في المدينة التي ينظم فيها وفي أكثر من مكان «مراكز ثقافية، ساحات عامة، مقرات منظمات العمل المدني والإنساني، الجامعات وغيرها» من مثل عرض أفلام، صور، ندوات، إذاعة شهادات لقصص إنسانية.. إلخ، إضافة إلى تنظيم مؤتمرات صحفية لأكثر من قطاع مجتمعي، في الجامعات مع الطلبة، في المؤسسات العامة، في المراكز الثقافية والحقوقية، ...إلخ، وتنظيم معارض صور لمختلف جوانب الثورة المذكورة في الأماكن العامة.

و من الهام جداً أن ينتبه وفد الائتلاف الإعلامي إلى أنه لا يمكن تحويل الثورة إلى الجانب الإنساني فقط ، ولابدّ من الترويج أيضا عبر مقالات تصريحات، ومؤتمرات صحفية لرؤية الثوار لسوريا ما بعد الأسد، وتصحيح فكرة الآخر عن الإرهاب وقضايا الطائفية وحقوق الأقليات وغيرها من مفاهيم يتم تداولها يومياً في الإعلام الغربي، وطرح رؤية سياسية لسوريا مدنية لكل أعراقها وأثنياتها، وإبراز دور النظام في تفكيك بنية المجتمع السوري، وكل هذا ممكن من خلال الاستعانة بإعلاميين خبراء يتقنون لغات مختلفة من السوريين، وهم موجودون في أوربا بكثرة، و الاستعانة بالناشطين البارزين في ساحة العمل الإعلامي بالثورة، وجلب عدد من النازحين واللاجئين لعرض قصصهم ورواية شهاداتهم للناس مباشرة، والتعاون مع عدد من الإعلاميين الغربيين والعرب، ليتواجدوا خلال المؤتمرات الصحفية، وتزويدهم بالمعلومات التي يمكن من خلالها طرح أسئلة على وفد النظام، بالتزامن مع تنظيم تجمعات ومظاهرات، ورفع صور وتنظيم فعاليات بقدر المسموح به أمام مكان تنظيم المؤتمر، وأمام مقرات الأمم المتحدة ومنظمات العمل المدني والإنساني، ومن الضروري أيضاً إعداد أكثر من فيلم وثائقي يبين المظاهرات السلمية أساليب النظام في مواجهاتها، إضافة إلى توثيق بصري لمختلف جوانب الثورة ولمختلف القطاعات المجتمعية التي دمرها النظام ، ويجب أن تكون أفلام قصيرة، سريعة العرض، مؤثرة، منتقاة بحكمة جودة عالية، يكثر فيها الصور والشهادات الحية دون الكلام المرفق الكثير.

قد يكون الوقت قد فات على تطبيق ولو جزء مما ذُكر سابقاً، ومع ذلك لا بدّ من العمل عليها لاحقاً، وأن تصل متأخراً خير من ألا تصل، وعلينا الاستفادة من مؤتمر جنيف وأي مؤتمر وتجمع دولي قادم، فإن كان جنيف استحقاق دولي لم نأمل منه الكثير كان ممكن تحقيق كسب إعلامي كبير خلاله وقد يكن المكسب الوحيد، ومع ذلك يبقى إعلام الثورة استحقاق وطني وواجب وطني دائم ومستمر وعلينا بذل كل جهودنا وطاقاتنا لألا نخسره، خاصة أن الجميع بات يُدرك أن الحرب المُعلنة أكثر من نصفها حرب إعلامية.. فهل هذا ممكن!!؟؟ سؤال برسم الائتلاف الوطني وهيئاته المعنية.

الإعلام في الأنظمة الشمولية

د. عزام أمين

هل يوجد إعلام في الأنظمة الشمولية؟ وما هي وظيفته؟ بشكل عام في الأنظمة الشمولية لا يوجد شيء اسمه «إعلام» وإنما نوع من الدعاية الإعلامية الموجهة «بروباغندا»، فجميع وسائل التواصل الجماهيري من صحف وراديو وتلفزيون تخضع بشكل مباشر ومُحكم لرأس النظام «الطاغية» أو أحد أفراد عائلته وتُعتبر البروباغندا الحامل اللغوي للعقيدة التي يستمد النظام منها شرعيته؟

من المؤكد أن كل نظام شمولي يعتمد على منظومة لغوية خاصة به، ولكن مهما اختلفت هذه المنظومة من نظام شمولي لآخر حسب الزمان والمكان، يمكننا أن نلاحظ ثلاث أشياء:

- في زمن السلم و الاستقرار تتركز الدعاية الإعلامية على تمجيد الطاغية والتغنّي بمنجزاته العظيمة في مجال بناء الوطن والاقتصاد وغالباً ما يحاول الطغاة ربط اسمهم بالحداثة والتحديث للتأكيد على أن الوطن قبل وصولهم المبارك للسلطة كان في عهد الظلمات، فنجد هناك باني سوريا الحديثة وباني العراق الحديث وباني ليبيا الحديثة... وتكون المهمة الأساسية لوسائل الاعلام هي صناعة صورة استثنائية للطاغية ولنظامه لوضعه فوق مواقع الآخرين من حيث القدرات الفكرية وتميّز الأداء وابتكار أو توظيف قصص بطولات خرافية عن بعض الخوارق التي ترتبط ببعض سلوكيات القائد إلى درجة اعتباره مصدر إلهام الشعب في العلوم والآداب والفنون. فالطاغية هو الراعي الأول للعلم و العلماء، وهو «المعلم الأول» لأن المعلمون هم بناة الأجيال، وهو الطبيب الأول، والمهندس الأول، والفنان الأول، والجندي الأول، والفدائي الأول، والفلاح الأول.

في جميع وسائل الدعاية (صحف، تلفزيون، راديو) يتم التركيز على الوحدة الوطنية والتلاحم بين القيادة والقاعدة الشعبية، وقد ترفدها مفاهيم تتقدم أو تتراجع حسب السياق التاريخي، كالاشتراكية والصمود والتصدي والتقدمية والازدهار الاقتصادي والعلمي التي تعيشه البلاد بفضل حكمة و ذكاء الطاغية. طبعاً لا يخفى على أحد أن الإعلام في الأنظمة الشمولية لا يمكن أن يكون إلا إعلاماً منفصلاً تماماً عن الواقع على شاكلة الطاغية، فغالباً ما تكون الحالة الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية للمواطن مزرية وبعيدة كل البعد عن ما تصوره بروباغندا النظام، فمثلاً بينما كان تلفزيون ألمانيا الشرقية يتغنى بالرفاهية والازدهار الاقتصادي الذي يتمتع به مواطنوها، كان المئات من الألمان الشرقيين يحاولون يومياً الهرب عبر الجدار الفاصل بين الألمانيتين معرضين حياتهم للخطر.

- في زمن الاضطرابات السياسية والثورات، ومع أول هزة سياسية تختفي عبارات الوحدة الوطنية والكبرياء الوطني وعظمة الشعب الحضاري العريق الذي يرأسه القائد العظيم، لتحل مكانها عبارات تجسد حالة الانقسام والفتنة والطائفية وتتحول البروباغندا إلى نوع من التجييش والتخويف من المستقبل والتهديد والمقايضة «إما القبول بواقع الاستبداد والعبودية و إما الفوضى والخراب». معادلة «إما الأمن أو الحرية والفوضى» هي المحرك الأساسي لإعلام الأنظمة المستبدة حين تثور عليها شعوبها، وتحاول الأنظمة الشمولية تصوير شعوبها على أنها قاصرة ومتخلفة، همجية غير قادرة على قيادة نفسها (شعوب لا تعرف ما هي الحرية و لا تستحقها) وهي بحاجة دائماً لحكم الطاغية القوي لضبطها ووضعها على الطريق الصحيح (التغنّي بالبوط العسكري) وإلا سيكون مصيرها الضياع. وهكذا في فترات التمرد والثورة تنتشر قصص العصابات المسلحة والخطف والاغتصاب والخبز المسموم والمشروبات المسمومة ليس فقط من أجل إثارة البلبلة وتضييع الحقيقة وحسب، بل، من أجل تأجيج المخاوف من المجهول واستنفار الهويات العرقية أو الطائفية المُضمرة. فالخوف والهلع يحرك غريزة البقاء، ويستنفر الشعور الجمعي القطيعي للدفاع عن «نحن» ضد «هم» (غوستاف لوبون ، علم نفس الجماهير، ١٨٩٥) ومن أفضل من النظام الذي نعرفه للدفاع عن هذه الـ «نحن» المهددة بالإبادة في حالة رحيله؟

- سواء في زمن الاستقرار أو الاضطرابات السياسية هناك ثلاثة مصطلحات مستخدمة بشكل يومي في وسائل إعلام الأنظمة الشمولية: عدو، مؤامرة، خيانة. فمن خصائص الأنظمة الشمولية أنها تفتعل الأزمات وتخلق أجواء متوترة ملائمة لإثارة الحروب مع أعداء خارجيين، فلكل نظام شمولي عدوه الخارجي، والمهمة الأولى له هي مقاومة هذا العدو وأي مطالبة بحقوق الانسان والعدالة وتحسين الأوضاع المعيشية هي مؤامرة المقصود منها إضاعة الوقت والجهد. في مثل هذه الأجواء يجد الطاغية مجالاً مناسبا لممارسة عنفه والقتل دون حسيب أو رقيب (ميول سايكوباتية) ولإرضاء عقده الاستعراضية القيادية والخطابية.

تاريخ الطغاة من جنكيزخان وهولاكو و نيرون الى هتلر وموسيليني وماوتسي تونغ وستالين وصولاً إلى جمال عبد الناصر وصدام و القذافي والأسد يشهد بحقيقة هذه الحالة الحربية التي يضع فيها الطاغية شعبه.

إن بروباغندا الأنظمة الشمولية لا يتم فرضها دائما بالقوة، فاللغة الحاملة للعقيدة ومصطلحاتها تدخل في الاستعمال الشعبي والجماهيري حتى لو لم تتبنى هذه الجماهير عقيدة النظام. المواطن الذي يشقى من أجل الحفاظ على نفسه وتحسين حالته يتبنى بشكل لا إرادي لغة النظام ويستخدمها لأنه يعلم أنها المفتاح الوحيد للنجاح وحماية النفس. إن الخطورة الأكبر لهذه الأنظمة لا تكمن فقط في أنها تمنع شعوبها من التمتع بحقوقهم المستحقة فحسب، (رغم أهمية ذلك ومركزيته) بل في أنها، كما يقول فولتير، تؤسس لأنساق من السلوك السلبي (نفاق) الذي يؤسس بدوره لمرحلة أخلاقية هابطة، مهما كان الشعب (عربي، أوربي، أمريكي، أسيوي...)، وبالتالي تساهم في صياغة شعوب مشوهة بنيوياً تفتقد لصفتها الإنسانية. فالمجتمعات التي عاشت فترات طويلة في ظل الاستبداد والقهر غالباً ما تنتمي إلى منظومة من أنماط السلوك الغريزي الذي يعتمد أساساً على خصائص الانتهازية والانتقام والوصولية. في هذه المجتمعات يصبح التزلف والتذلل وانسداد الأفق والانتماءات الضيقة وجلد الذات وتبخيسها (العرب جرب، نحن شعب متخلف ما بيمشي معنا غير البوط العسكري، نحن لدينا مشكلة في ثقافتنا) والأنانية والفردية المعيار الأساسي للوصول إلى النجاح.

من المؤكد أن إسقاط الطاغية يكون أسهل بكثير من إسقاط الآثار النفسية والاجتماعية لحكمه والذي ربما يحتاج لسنوات عديدة بعد سقوطه.

رسائل لم يرد عليها

بشار فستق

...يمكنك ترك رسلة صوتيّة عند سماع الشارة.. (صوت الشارة)

رولا: اليوم بيكون صارلِك تلات شهور، استفقدوكِ البنات كتير، والأسبوع الماضي اجتمعنا متل العادة وتوقعّنا تفاجئينا وتجي. من الصبح استفقدتِك، طبعا نحنا عْشرة عمر يا سلّومه! كلية الحقوق، وبعدها سنتين تدريب بمكتب بابا إلّي بيعتبرك أشطر مني وعالطالعة والنازلة بيقول: أنا عندي بنتين، رولا وسلمى، وسلمى أشطر!. ولمّا صرنا أستاذات وسجّلنا بالنقابة صرتِ أكتر محاميّة بتشارك بالنشاطات الثقافية.

كيف صحتك سلمى إنشا لله بخير؟ بالي مشغول عليك لأن منال كمان قالتلي إنك ما عم تردّي ع موبايلك، ومرّه فصلتيها، والمزعج أكتر إنه أهلك كل مرّة بيقولوا مانك بالبيت. ويمكن ما عم يقولولك إننا عم نتصل فيكِ، موهيك؟ وإلا كنتِ اتصلتِ. صح؟؟

كيف بدّك تبدأي حياتك العملية من جديد؟ شغلنا بدّو معارف وعلاقات اجتماعية، تعبنا سنين لبنيناها، بترميها؟ معقول؟

سلّومه أنا كل يوم بتصل فيكِ، ولو ما بدّك تردّي، وبدي ضل اتصل واتصل. نحنا ما منعرف بعض من عشرين سنة لأ، نحنا سوريين من تلات آلاف سنة متل ما كنت تقولي، صح ولا لأ؟..

ما لازم تتخبّي يا سلمى وتهربي، كلنا منخاف، لكن الطائفية ما هي حماية، ومو من مصلحة أي حدا يتخبّى ورا أي طائفة، مصلحته يكون مع الوطن مع الكل ، قوته يكون مواطن متله متل غيره؛ مو هادا إللي كنّا نآمن فيه سوا؟

شو الي غيّرك؟ معقول كم واحد يجرّوا طائفة ع الهاوية؟؟ وأنت وأنا عم نتفرّج؟

نحنا إلّي وقفنا دايماً ضد التجاوز ع القانون، ضد القمع، ضد حكم المخابرات...

مو معقول تكوني إنتِ نفسك سلمى البنت الحرّة الشجاعة؛ أنا بعرف خوفِك على أهلِك من انتقام النظام، وبعرف إنو النظام بعاقبكن بشكل مضاعف، لكن هادا الشي نفسه لازم يخليهن يفكّروا بأن النظام بدو يحرقن معه؛ وإنت دورِك كبير يا سلومه، وأنا مارح أتركك، رح ضل اتصل واتصل واتصل لحتّى نلتقي سوا، لأنو كلنا بالهوا سوا، ونحنا موزاييك سوري جميل بالأجزاء المكوّنة إلو، وسلام سلومه..

- جاري تسليم الرسالة.

سائحٌ حلبيٌّ يزور حلب

في حلب تمرّ الليالي كما يمرّ الشهداء في مخيّلة من فقدهم: خاطفةً حيناً ومؤلمةً أحياناً

عارف حاج يوسف

القلب ينبض في مكانٍ غير مكانه، الروح تمتلئ بصراعات داخلية بين الخوف والشجاعة والعزم، والعقل مشغولٌ بالبحث عن الفرق بين الحقيقة والخيال، الأراضي السورية على مرمى حجر، والمجهول ينتظرنا ليسرق منا شيئاً، أتمنى أن يكون رخيصاً، كبطاقة هويتي السورية مثلاً!

ثقيلٌ يمرّ الوقتُ كأنه ريحٌ مُحمّلةٌ بذكريات أيامٍ خَلَت، بقذيفة الهاون التي سقطت فحصدت، بسهرةٍ في الزبدية على ضوء شمعةٍ لم تنطفئ.. وثلاثة كؤوسٍ من الـ «ميراندا» لعدم توفّر المشروبات الأخرى، بمظاهرة تهتف ما يردد أبو مريم «إسلام ومسيحية بدنا نبيد الأسدية» ورقصة المتكاتفين.

وطنٌ ومُخيّم:

تُركيٌّ من «الجاندرما» أو حرس الحدود يدمغ على جواز سفري ختماً معلناً خروجي من بلده ودخولي إلى الوطن ـ المحرقة ـ على مرآنا علمُ الاستقلال السوري ذو الثلاث نجمات ولغة الضاد بدأتُ أيضاً أسمعها بكثافة، سنتّجه إلى المُخيّم حيث تقيمُ التغريبة السورية في أبهى حِللها.. أطفالٌ يلبسون «جزمات» لتقي أرجلهم الصغيرة من الوحل والطين يقفزون أمام كاميرتي علّي ألتقط لهم صورة وأعرضها على «الجزيرة»، إنه مخيم باب السلامة حيث اعتاد النازحون على ما هم عليه، فهم النازحون المُخضرمون (كيف يعيش هؤلاء هنا؟) هرِمٌ هذا المخيم كقاطنيه الذين مرّ على وجودهم سنة ونصف، على الطابور الطويل يصطفّ الأطفال حاملين بأيديهم الخشنة ـ بعد معيشة العراء ـ صحوناً وطناجرَ فارغة ليملؤوها ببعض الغداء، لقد كسب يوسف المعركة مع الصغار فقد استطاع اقحام نفسه في مقدّمة الطابور وتعبئة ما حمل ببعض الرزّ والخبز فهو كما قال لي: «جائع، ولا يريد أن يصطف في الطابور الطويل لألّا يموت من الجوع قبل وصول دوره».

مدرسةٌ إبتدائية داخل القماشة المهترئة، سوقٌ للخُضار والفاكهة وبائعٌ للمازوت، عاملٌ في صيانة الهوائيات (الدشّات)، بقالية داخل إحدى الخيم قسمها صاحبها إلى قسمين، قسمٌ للعمل والبيع والباقي للعائلة والنوم (لكم أن تتصوّروا كم تبلغ مساحة الباقي) وباقةٌ من الظروف المعيشية السيئة كانوا قد اعتادوا عليها كأسلوب حياة وأخشى ما أخشاه أنّهم ألِفوها لكونها بيوتهم الجديدة بعد أن خسروا بيوتهم التي صنعوها من حجر وبلاط واسمنت في مدنهم وقُراهم.

في المخيّم الآخر ـ الجديد ـ بالقرب من قرية شمّارين الحدودية الذي جُهّز ويجهّز خصّيصاً للنازحين الجدد من مدينة حلب بعد هولوكوست البراميل الذي أحرق الحجر والشجر والبشر، فخرجوا تحت وابل الموت المُتساقط الذي يشبه المطر حرفياً، لم أستطع تفسير نظراتهم إليّ وإلى المتطوّعين في العمل الإنساني وإلى المُخيّم وإلى السيارات التي تأتي بالمعدّات لتجهيز المخيم الجديد، أظنّهم كانوا يفكرون : «هل سنقضي ما تبقّى من عُمرنا هنا؟ في هذه الأرض الترابية التي ستتحول لطينيّة قريباً؟ وبيوتنا التي تركناها خلفنا؟ ألن نعود؟» نتحدّث قليلاً إلى المسؤول التنظيمي فيقول: «يوجد ألفَي نازح حتى الآن والمتطوّعون يصلون الليل مع النهار من أجل تجهيز المُخيّم بالكامل، القدرة الاستيعابية تصل حتى سبعة آلاف نازح» ثم يتابعُ رداً على سؤالٍ من أين ستأتون بالخمسة آلاف نازح؟: «سيأتون، لا تخف!»

مدينة الأشباح والأنقاض:

سيلتفّ أبو أحمد سائق التكسي بسيّارته حَوْل مدينة اعزاز لألّا يمرّ منها وهي تقع تحت سيطرة داعش، لأن داعش كما قال أبو أحمد: «متلها متل النظام!»

بدأت أسئلتي السياحية، فالمدينة التي أنتمي لها يُمكن أن تتغيّر كُلّياً بين ليلة و ضحاها، لذا فالشهران اللذان قضيتهما خارجها كانت كافية لتحويلي إلى صحفي أجنبيّ يدخل إلى سوريا للمرة الأولى بهواجس خوفٍ وقلقٍ وحذرٍ وفضول: «هل يقصف الطيران الريف أيضاً؟ ما هي نسبة الخطر في المدينة ليلاً؟ ما هو العدد التقريبي للبراميل المتساقطة يومياً؟ كم بقي من المدنيين؟ ما هذا الصوت؟!»

عند حاجز لـ «لواء التوحيد» أحد أكبر الألوية المقاتلة في حلب، والذي يخوض حرباً مزدوجة ضد النظام وداعش، تقدّم إلينا أحد الشباب صغار العُمر ليطلب بطاقات الهويّة وعندما مددنا أيدينا باتجاه جيوبنا قال: «ما في داعي.. الله معكم.. شوية تشديدات أمنية.. لا تآخذونا!»

في حلب يُمكنني أن أصف ما رأيته بأنه «الكارثة» أحياء الحيدرية والشعار وطريق الباب خاوية على عروشها إلا ممّن لا يمتلكون مكاناً ينزحون إليه أو بقوا لأنّهم يُفضّلون الموت في بيوتهم على أن يقتلهم برد المخيّمات كحال عائلة أبو أحمد سائق التكسي التي بقيت في حي الحيدرية الذي يُقصف يومياً: «أفضل كرامة الموت في بيتي على الذلّ خارجه، والله هو الحامي» تمديدات المياه الأرضية قد أصابها صاروخ طائش فانطلقت المياه في تظاهرات عمّت شوارع الحي ولم تجد من يقمعها! حسناً.. من أجل الإنصاف: كانت الكهرباء متواجدة، استغربتُ من وجودها، فكيف يقصفونهم بالبراميل نهاراً ويمنّون عليهم بالكهرباء ليلاً؟ أم أنّه أحد مشاريع الدعم النفسي!

في القسم الغربي من القوس المحرر يبدو الوضع أفضل حالاً، فأحياء المشهد والأنصاري والسُكّري كانت قد قُصفت أيضاً، لكن الفرق بين خمسة براميل وعشرة هو شاسعٌ ولم يدفع الجميع إلى النزوح، كان جليّاً أن الأمان الليلي أصبح أكثر من نظيره النهاري لذا فنشاطات البيع والشراء والتبضّع والزيارات العائلية وألعاب الأطفال والمواعيد الغرامية تتمّ ليلاً، بضع قذائفَ من الهاون تُعتبَر هنا شكلاً من أشكال الحياة الطبيعية الخالية من القصف!

ما بين موتٍ وموت.. وبادرة حياة:

في حلب تمرّ الليالي كما يمرّ الشهداء في مخيّلة من فقدهم: خاطفةً حيناً ومؤلمةً أحيان، في حلب أقوى على الحياة.. رُبّما الحياة الطبيعية لم تعُد مُلائمة لمن اعتاد الحياة في الحرب، رأيتُ هذه المدينة وأراها في عيون من صمدوا: السائق أبو أحمد المُقاوم للموت، مقاتلون بذلوا الأرواح في سبيل الحرية من كل أنواع الديكتاتوريات، أطباء وممرضون آثروا كلّ شيءٍ على وظائف في بلدان أخرى آمنة وبرواتب باهظة، إعلاميّون وصحفيّون لم يصبهم اليأس، نشطاء الإغاثة والخدمات، بيت الفلافل: المطعم الأفضل في الجزء المحرر و الذي استمرّ استمرار الثورة.

في حلب: للحديث بقيّة ـ طويلة حتماً ـ.

دفء الوطن

غيلان علي

- ١ -

لم يكن الاستقبال المُهيب في مدينة اللاذقية لنازحي مدينة حلب، سوى أحد أهم ما سيستثمره النظام طويلاً عبر ماكينته الإعلامية، على مداخل المدينة انتظرت أكثر من ٥ إذاعات رسمية الوافدين، وأسمعت الناس لأسابيع عن معاناتهم. وثَمنت حكمتهم في النزوح إلى الداخل. حينها تم تفعيل المصطلح الرمزي (حضن الوطن)، كنقيضٍ لسلوكيات اللجوء والنزوح نحو الخارج السوري.

شكّل نازحو مدينة اللاذقية، ما يساوي نصف عدد سكانها الأصليين، وتنوعت أماكن توزعهم، وامتدت على مُجمل مناطق المدينة والريف. إلا أن التواجد الأضخم لهم، والذي رعته الدولة، كان في منطقة (المدينة الرياضية). الأمر الذي يمثل أحد أهم الصور التي تُعبر فيها الدولة السورية عن طريقتها في التعبير وعن دفئها الموعود والمُشهر به صباحا ومساء.

يتجاوز عدد النازحين في منطقة المدينة الرياضية خمسة آلاف نازح، وهم في الغالب من الطبقة الفقيرة، والفقيرة جداً. وقد لجأت الى هذا لتصنيف لسببين رئيسين الأول: أن أغلب النازحين داخل منطقة المدينة الرياضية هم ممن لم يدخروا أموالاً أو مخزوناً شيئياً في مدينهم ـ حلب ـ التي نزحوا عنها مِما قد يُمكنهم من استثماره في مدينة اللاذقية. والثاني: قدوم الكثير منهم بما يحمل من ثياب شخصية فقط، وهم ينتمون مِهنياً لقطاع الأعمال الحرفية اليومية، ولا يُوجد بينهم مثلاً موظفٌ حكوميّ أو ما شابه.

- ٢ -

استقبال النازحين ليس بريئاً، يُخبرنا أحد ناشطِي الهلال الأحمر: «هناك محسوبيات داخل هذا المركز، من كان موالياً في منطقتهِ، أو مشهوداً لأبناء منطقته النازح منها بالقتال أو المساندة الأمنية، يحظى بدعم داخل المركز» رغم إدارة لجنة حكومية مُشكّلة من إدارة مجلس المحافظة وبإشراف مشترك لمديريتي الشؤون الاجتماعية والعمل، والصحة، إلا أن هذا الجانب الحكومي العام، لا ينعكس لا بالمساواة ولا المراقبة، لا الرحمة ولا الأمانة. يسكنُ الأهالي خياماً تُجهز داخل معابر واسعة، دون أي نوع من أنواع التدفئة، وبعض المدعومين جراء علاقة أمنية يحصلون على عدد زائد من البطانيات القطنية والصوفية..!، والآخرون ينتظرون المُحسنين وتبرعاتهم.

في العام المنصرم، أدت الأمطار إلى فيضان مائي، أغرق الخيم وكاد أن يتسبب بموت أطفال. اليوم يخشى الأهالي في الداخل الأمطار، لأنها بلا شك ستسبب فيضاناً جزئياً، فآثار فيضان العام المنصرم ما زالت موجودة. حيثُ عُطبت الغرف الصحية (الحمامات\ والمصارف المائية) وليومنا هذا لم يتم إصلاح العطل وفتح العقد التصريفية. واستطعنا معرفة سبب التأخير في إصلاح الأعطال وهو أن اللجنة المُكلفة برعاية النازحين طلبت من مجلس محافظة مدينة اللاذقية إصلاح الضرر، إلا أن المحافظ ومجلس المحافظة اعتذر عن الإصلاح، وذلك لتبعية منشأة المدينة الرياضية للاتحاد الرياضي العام...!. وليومنا هذا لم يتم حل هذا الاستعصاء الصحي والإنساني بسبب الإجرائية البيروقراطية الشديدة السخف للنظام السوري.

كل هذا في ظل خوف صحي كبير، من انتشار الأمراض الوبائية والتي قد تنتشر بسرعة بسبب آلية التجمع الإجبارية للنازحين في أماكن مُغلقة، وكونها غير مهيأة أصلاً لمكوث البشر. وعدم مبادرة أي جهة حكومية رغم دعوات الكثير من الأطباء والمشرفين لإيجاد حلٍ لهم.

- ٣ -

في زيارتنا أيضاً استطعنا الاطلاع على الوجبات المقدمة للنازحين، ورغم ادعاء المُشرفين بتقديم وجبات صحية مدروسة، إلا أن المخصصات الغذائية تبدو مبسترة وقليلة الغذاء. وأوضح لنا الأهالي أن كمية اللحوم في الغذاء قليلة، وأفادنا مصدرٌ صحي أن من ٢٥ كيلو لحم يومياً مخصصة للنازحين في منشأة المدينة الرياضية، لا يصل للأهالي سوى ما يساوي الثلاثة كيلو غرامات!... ويتضّح هذا من التقارير الصحية التي استطعنا الاطلاع عليها، فنسبة الأمراض تتزايد بسبب ضعف المناعة، ويبدو الوهن والتعب على الأهالي ـ خاصة الأطفال ـ بشكل واضح وجلي. وفي إحدى المقابلات التلفزيونية التي أظهرت شخصيات سياسية حزبية تابعة للنظام تزور مخيمات النازحين داخل المنشأة، تم التركيز مشهدياً على صناديق الفاكهة والخضار، إلا أن الأهالي أكدوا لنا أن الفاكهة والخضار لم توزع في أي يوم من الأيام، ما يُضاعفُ الحالات المرضية، ويجعل مناعة أجساد النازحين في أدنى صورها.

هذا ما انعكس بكثرة تعرّض النازحين للأمراض والتي حذرت منها تقارير صحية عامة وتقارير من نشطاء الهلال الأحمر، والكثير من الفعاليات الخيرية شبه المُستقلة التي سُمح لها بزيارة النازحين.

عملياً يتم سرقة مخصصات النازحين بشكل منظّم، ولصالح عدة جهات أولها اللجان المشرفة على المخيمات، وآخرها مسؤولو المنشأة الرياضية من المسلحين. فالمنشأة تخضع لحراسة أحد أخطر الميليشيات التابعة للنظام، وهي جيش الدفاع الوطني، ويُفتش الداخل والخارج من المنشأة، والمعاملة لا تتجاوز العلاقة الأمنية المشفوعة بخلفية مرضية ريبية.. لا يُمنع الأهالي من الخروج من المنشأة، إلا أن الأهالي شرحوا لنا أن عناصر المليشيا الحارسة، كثيراً ما يمنعون الخروج من المخيمات وبدون سبب واضح، مما سبب فقدان البعض من النازحين لأعمالهم التي امتهنوها داخل مدينة اللاذقية. وحدثنا بعض الأهالي بأن الحراس كثيراً ما يعتدون بدافع التسلية والتسلط باللفظ أو الفعل على الأهالي.

الجانب التعليمي غير مدعوم والكوادر التعليمية التي تدخل المنشأة لا تُلزم الطلاب والأهالي بالالتزام اليومي بالبرنامج التدريسي. وفي زيارتنا الصعبة للمنشأة استطعنا ملاحظة أن الأطفال عموماً لا يتمتعون بصحة جيدة، جراء النقص الغذائي (الفيتامينات\ البروتينات) مما يؤدي إلى تناقص حاد في النشاط والشعور بالوهن الدائم لدى الأطفال. وعدم جدية الكادر التعليمي المخصص للنازحين تظهر بشكل واضح للأهالي. لا بل أكد ـ الأهالي ـ أن طبيعة الكادر التعليمي غير مشجعة للأطفال وتُعامل الأطفال بطريقة لا تخلو من العنصرية والاستعلاء.

أمنياً يُمنع بشكل واضح دخول الجمعيات والمتطوعين الاجتماعيين. وحاولت فعاليات اجتماعية شبه مُستقلة اختراق هذه الحالة إلا أنها لوحقت أمنياً ولأسباب مجهولة لا تعرفها إلا عقلية الاستبداد المرضية. وتم تحويل عشرات الناشطين إلى فروع الأمن فقط لنشاطهم الإنساني، الغذائي\ النفسي الاجتماعي أو الطبي داخل المنشأة.

- ٤ -

دفء الوطن المُشهر به لا يتجاوز حدود الإشهار الرخيص والمُستهلك، حيث يخضع الأهالي لاستعمالات رخيصة لا تتعدى الإعلام الرسمي الرخيص.

أما بعد فخمسة آلاف مواطن سوري يخضعون لسرقة مخصصاتهم، ولإهمال بيروقراطي مُنظم مائع يفرضه الاستبداد على الناس. فلا تدفئة تقي من البرد، ولا مُعقمات تقليدية لوقاية الجلد والأجساد من قيظ الصيف. ويُحرسون من أفراد ميليشيا تُعد من أخطر الميليشيات الفاعلة بالشأن السوري. ولن يكون انتقاص العدالة الذي يلاقونه داخل وطنهم، سوى وصمة عار جديدة يُخلفها الاستبداد، وستُنتج آثارها داخل المجتمع، الذي يُفرض عليه الحياد الكامل عن المُشاركة والتفاعل حتى في القضايا الإنسانية البسيطة.

دفء الوطن تجربة منظمة لذل مُنظم، ولن تكون صور الرئيس المفروضة داخل العنابر الموصلة لخيم النازحين، سوى واجهة حقيقية لدفء ما يقدمه نظام الأسد!..

الموسيقا نبض الحياة

Mûzîk pirteya jiyaniye

حسن إبراهيم برزنجي
Hesen Ibrahîm Berzencî

كل ما حولنا له إيقاع وتردد، بدءً من صوت قلب كل شخص، وصولاً إلى دوران الكرة الأرضية، وطبعاً تتشكّل حاسة السمع لدى الإنسان في الأسبوع السادس عشر وتنتهي في الأسبوع الرابع والعشرين، ليبدأ بالسمع وهو لا يزال في بطن أمه، فيا ترى ما الذي يسمعه؟

قرابة ستة أشهر يستمع إلى إيقاع قلب والدته، وإلى الأصـوات التي تحيط بها، ويستمد منها المشاعر المختلفة، لهذا إذا كان الأب مصدر سعادة للأم فإن الطفل حتى عندما يولد ويسمع صوت والده يفرح، وإذا كان الأب مصدر إزعاج فإنه يبدأ بالبكاء حين سماع صوته!!!

وإذا كان كذلك فإن كل شخص يولد عارفاً بالموسيقا، فلا ريب أن الموسيقا لغة العالم بالرغم من خصوصية كل شعب.

قبل آلاف السنين، منذ ذلك الوقت الذي بدأ يتشكّل الوعي لدى الإنسان، ولأن الإنسان يمتلك الموهبة، (وبرأيي هو ما يميزه عن الحيوان) أراد أن يصنع أدوات ليعيد خلق أصوات الطبيعة من حوله، فبدأ بصناعة الموسـيقا ليسـتعمل إمكـانات جسـده من صـوت وتصفيق وتصفير، ثم من الأشـياء التي حولـه، فمن جلد الثور صنع الطبول الكبيرة، ومن العظـام والقصب صنع الناي، ومن الخشـب صنع صندوق الصوت ومن أمعاء الحيوانات التي يصيدها أوتـاراً ليشدها على طنبوره، ويبدأ بعزف همومه وأفراحه.

استخدم موسيقاه في الدين، ليدعو من آلهته ما يتمناه، كما استخدمها كأداة للتواصل كإيقاعات الطبول في الحروب، عندما يريدون أن يشيروا إلى حدث ما.

تاريخ الشرق الأوسط مليء بالآثار الموسيقية، فأقدم نوطة موسيقية، وجدت في أوغاريت، وكتبت على يد الحوريين، كانوا يصفون فيها إله القمر، وفي تل ليلان اكتشفوا معهداً لتعليم الرقص والغناء قبل ما يقارب ٣٥٠٠ سنة...

ودائماً الموسيقا المتطورة والتي بقيت إلى أيامنا، هي التي كانت تحت تأثير الرخاء... فأولئك الموسيقيون الذين عاشوا تحت ظل الخلفاء المسلمين كإسحق وإبراهيم الموصللي زرياب، ما كانت موسيقاهم لتبقى إلى أيامنا هذه، لو لم يستطيعوا الوصول إلى مراكز السلطة.

ولكن على الطرف الآخر كانت الموسيقا الشعبية مستمرة، ولكن بـدون رعاية، أو أي اهتمام، تلك الموسيقا كانت مرتبطة بحياتهم وعملهم.

حيث يستطيع أي شخص أن يغيّر في الكلمات حسب ما يشاء، ويستطيع أيضاً أن يغير في اللحن أيضاً...

والكرد إحدى تلك الشعوب التي ما تزال موسيقاها شفاهية أي غير مدونة أو مسجلة، بسبب الظلم الذي وقـع عـلـيـهـم من الأنظمة الحاكمة، الـتـي لـم تـولـي أي اهتمام بها، ليس ذلك فقط بل قاموا بسرقة الكثير من موسيقاهم كما حدث في تركيا عـام ١٩٨٠ عندما قامت جيوش النظام الأدبي بالهجوم على الأغـانـي الكردية، واسـتـولـوا عليها وأخـذوا ألـحـانـهـا ووضعوا لها كلمات تركية وأذاعوها من جديد...

ولكن لا تـزال حتى الآن الكثير من هذه الأغاني محفـوظة في صـدور المغنين الشـعبيين، ولم تكتب بعد.

قام بعض المثقفين الكرد بوضع حماية الثقافة على عاتقهم، وقاموا بكتابة البعض منها، وإذا دققت في تلك التسجيلات، هناك الكثير من المواضيع بين كلمات تلك الأغاني، حيث يمكن معرفة الحالة الاجتماعية للناس في تلك الأيام، ما يلبسون وما يأكلون، دينهم وتقاليدهم، كل ذلك تستطيع أن تراه في ملحمة ممي آلان,

وتستطيع أن تعرف جغرافية المنطقة من خلال ملحمة سيد خان بصوت جميل بافاوي.

باعتقادي أن الأغاني الشعبية هي خزائن لثقافة الشعوب المستَبَدَّة، وموسيقاهم هي ترجمة لأحاسيسهم المليئة بالحزن...

الأغاني الشعبية مادة غنية، يستطيع الفنانون والمثقفون وضع الكثير من الأبحاث حولها...

Her tişt li dora me rîtmek û jenînek wê heye, ji dengê dilê her yekî ji me, ta gera goka zemînê, ji xwe dema hesta bihîstinê li ba mirov çê di be, di hefteya şazdehan de, û di heftiya bîst û çaran de temam di be, dest bi bihîstinê dike, û ew hîna di zikê diya xwe de ye, lê ma gelo wî çi di bihîst?

Dora şeş mehan li rîtma dilê dayika xwe, û dengê kesê dora wê guhdar dike, û hestên cîwaz ji wê werdigre, ji vê yekê eger bav di hêle dêk bi kêf be, ta piştî ku zarok tê ser ruwê dinyayê dema dengê bavê xwe dibihîse kêf di ke, û eger wê alozî dike çi cara ku dengê wî bibhîse wê bi de girî!!!..

Û eger ev be, ango her mirovek tê ser ruwê zemînê mûzîknase, bê guman mûzîk zimanê cîhaniye tevî ku her miletekî taybmendiyeke xwe heye.

Ji berya hezarê salan, ji wê dema ku hoşmend bû, û Ji ber ku mirov xwedî behreye, (û di gumana min de, cêwaziya wî û lawiran jî ewe) xwest ku amureyan çêke, da karibe dengên xurusta dora xwe ji nûve çê bike…

Bi wî awayî dest bi çêkirina mûzîkê kir, pêşî bi karîneyên laşê xwe wek dengê xwe û çepk û fîkandinê, û dûvre bi tiştê derdora xwe, ji çermê ga daholên mezin çêkirin, û ji qamîş û hestuwê lingan ney û bilûr çêkirin, û ji daran kod, û ji roviyê nêçîran têl, ta ku tembûra xwe berî ٣٥٠٠ salî çêkir, û kul û şahiyên xwe li ser jeniya…

Mûzîka xwe di warê olî de bi kar anî, pê ji xwedayê xwe xwestek û hêviyên xwe alav dikirin, û di warê têkiliyê de jî bi kar anî wek ritmên daholê di dema cengan de, ku her rîtmek sîmbola gotinekê bû di xwestin ji hev re bêjin…

Dîroka herêma rojhilata navîn, mişte ji polik û entîkên mûzîkayê, û ta niha kevintirîn noteya mûzîkê li Ogarêtê dîtine, ku hatiye nivîsandin bi destê Hûriyan, û têde pesnê xwedayê heyvê di de, û li girê Lêlên amozgehek bo perwerdekirina dîlan û strana ji berya ٣٥٠٠ salî hebû…

Û herdemî mûzîka ku pêşketî bû û ma û giha dema me di bin bandora xweşiyê û aştiyê de bû… ew hunermendên ku di bin baskê xelîfeyên musilmanan mîna Ishaq û Ibrahîmê Mûsilî, û Ziryab eger xwe ne gihandibana wan xelîfeyan nav û dengê wan ne dima…

Lê li hêla din mûzîka gelêrî di daneke berdewam de bû, lê bêyî ku kes hay jê hebe û guhdanê pê bike… ew mûzîk û stran bi jiyan û karê wan yê rojane ve girêdayî bû.

Her yek ji wan kare gotinan ji ba xwe bi ser ve bike û bi guherîne, û ta bi awazê jî Karin li gora xwesteka xwe bi guherîne…

Kurd yek ji wan miletên ku hîn gelek ji mûzîka wa lêvkî ye ango nehatiye tomar kirin, ji ber sitemkariya rijîmên ku serdestî wan bûn, ti guhdan bi kultûra wa ne bû, ne tenê wilo, hîn bi ser de gelek mûzîk ji wan dizîn çawa ku li Tirkî di salên ١٩٨٠ ê yî de, rêjîmê leşkerên xwe yê toreyî êrîş berdane ser stranê kurdî û awazê wa birin û bi gotinne nû bi zimanê tirkî li ser medya yê xwe derxistin… lê ta niha gelek ji van stranan li ba dengbêjên gelêrî ezberkirîne, û pir ji wana hîn ne hatine nivîsandin.

Hinek ji rewşenbîrên kurd jî dane ser milê xwe barê parastina vî kultûrî, û hin jê hate nivîsandin, û eger mirov bala xwe bide tiştê hatiye tomar kirin, gelek mijarên din di nava stranên filoklorî de hene, di nêv gotinê strana de diyar di be, bê rewşa civakî ya xelkê wê demê çi bû, ji cil û berg, û xwarinê wan, ol ,û qewatê wê demê, weke mînak tu kare van tişta teva bibîne di destana Memê Alan de,

û tu cografiya herêmê di destana Seyid Xan bi dengê Cemîlê Bafawî, di baweriya min de stranên gelêrî xezîneya kultûra miletên bindeste, û mûzîka wan wergerandina hestê wa yê tije xemgîniye…

Stranên gelêrî, heyberekî zengîne, hunermend û rewşenbîr Karin gelek lêkolîna ser çê bikin…

تجربة الحرب

لقاء مع مذيع بوسني من محاصري سيراييفو

لا يمكن للإنسان أن يصل إلى التقاط ذاك التشابه الفريد بين البشر مالم يتحلّ بشيء من نزوع كوسومبولوتي يجعله عابراً لزمانه ومكانه اللذين يشكلانه، فالتشابه صنو الاختلاف لدى البشر؛ نزوع كوسومبولوتي يزوّده بمخيّلة مجنّحة تسمح له بالتقاط ما يصلح تسميته هموم وجودية، وخصائص بشرية عامة، ورغبات، وشذوذات، وتجارب مشتركة.

التشابه المدهش يبدو بجلاء حين يجد الإنسان نفسه مفلتاً من حصن العادات والتقاليد والرتابة اليومية، في مواجهة ظروف استثنائية تضعه عارياً في مواجهة نفسه.

ومن سخرية الحياة أن الموت والحرب بتفاصيلهما يوحّدان البشر، بإطلاقها مستر هايد الأسير، ورميها لدكتور جيكل وراء القضبان، الأول هو الهمجي الشرير ولكن القوي، والآخر هو الأخلاقي ولكن الضعيف، في خضم الحرب يفاجئنا بشرٌ بسطاء هامشيون بنبلهم وكرمهم وطيبتهم، ويفاجئنا بشر آخرون بخستّهم ونذالتهم، لدرجة تصبح معركتنا الأساسية أن نحافظ على آدميتنا ولا نستسلم للحقد والجشع، وفي خضم الحرب نكتشف أنفسنا كما لم نكتشفها من قبل.

تبادرت إلى ذهني كل هذه الأفكار حين التقيت مذيعاً من البوسنة ينوي الحصول على مقابلة سريعة عن مفاوضات جنيف ٢ يأخذ منها اقتباسين بطول ٤٠ ثانية لتقريره. كان من المفروض أن نلتقي ساعةً واحدة ثم امتد لقاؤنا بضع ساعات.

حين بدأ بتسجيل المقابلة القصيرة، فوجئ لأنني سردت ما في جعبتي بعفوية وللحظاتٍ نسيت الكاميرا، ختمتُ حديثي: كان هناك ألف «لن يحدث هذا مرة أخرى»، ولكنه «سيحدث مرّة أخرى»، «سيحدث مرّة أخرى» ،... لفظتُ العبارة الأخيرة بانفعال حقيقي، وكنت أنظر إليه، وهو يقف قبالة الكاميرا كما طلب مني لغايات التصوير، تغيّر لـون وجهه بخفة وابتسم فيما هو يرقب انفعالات وجهي..

حـين جلسنا في مقهى الفندق بعد انـتـهـاء المقابلة الـقـصـيـرة، بـدأ حـديـث الـحـرب وشجونها، وامتدّ لـسـاعـات حدّثني طويلاً عن البوسنة ويوغسلافيا، تارة شاعراً، وتارةً هازئاً، وتارة عجوزاً مفعماً بالحكمة، وتارةً عاشقاً مشتاقاً، وحين كنت أشرع في الحديث كان يصغي إليّ دون أن يقاطعني، يبتسم بحنان، وفي عينيه مزيج مرئيٌّ غامض من المشاعر لم أره في كل حياتي في أية نظرة، مزيج عصيٌّ على اللغة وعصيٌّ على الوصف.

قال لي: ماذا تفعل ؟ كيف تمارس حياتك اليومية؟

تحدثت أولاً عن اليوميات المرتبطة بالغربة، وتحصيل رزقي والخوف من المستقبل الذي يزداد غموضاً، ثم استرسلت في حديثي عن السينما وشغفي بها وعن الشعر، ومحاولتي تدوين يومياتي في كتيب نثري يسرد حكايتي وحكاية أحدهم مع الحرب والموت.

ابتسم ابتسامة بها مزيج من النوستاليجا والحنان، قال لي: هذا أفضل ما يمكن أن تفعله لا تثق بأحد، ولا تسمح لأي فنان مهما علا شأنه بسرد حكايتك، نحن في البوسنة لا نحبّ أمير كوستاريكا المشهور، لقد خفّف من فظائع الحرب في سبيل ألعابه الفنية، وليمرّر رؤيته على حسابنا، لقد أحرق حكاياتنا وأسقطها من أفلامه.. لقد اغتصب ذاكرتنا. ما يحدث في الحرب مفرط في واقعيته، صـعـب جـداً أن تقصّ منه وتجمّله، أقبل أن يلتقط منه، لـكـن أن يلطف مـا حـصـل في عيون المشاهدين باسم حرية الفنان وإبـداعـه، وعـدم صدْم المشاهد.. أنا لا أحبّه ليس هذا ما حصل.

تحدثنا عن السلام، ومحاكمة مجرمي الحرب، كنا متفقين أن اللوم سيقع على حفنة من الناس، وسينجو الكثير من المجرمين، وكان تعليقي: نتواطأ جميعاً، حتى تقع المصيبة، فنحاكم مجرمين بعينهم، ونلومهم ونبرّئ أنفسنا.

قال لي: حتى الآن يرفض صرب البوسنة توصيف مجزرة سربنيتشيا، بأنها تطهير عرقي.. يقرّون بها لكنهم لا يحبون وصفها بالتطهير العرقي، رغم أن العالم بأسره قبل بهذا الوصف.

قلت له: لعلهم يخشون من ربط المجزرة بهم، أو لعلهم يشعرون بالعار لأنّ بعضاً من آبائهم كانوا قتلة، ليس من السهل أن نقول لآبنائنا: كان أجدادكم قتلة..

قبيل انتهاء لقائنا قال لي: مضى أكثر من ١٥ عاماً، بعض المشاهد التي وصفتها شهدتها مثلك، تذكرت الكثير، كم تشبه الحروب بعضها..

بدوري قلت له: صديقي هناك عبارة أرددها دوماً، ليس لديّ أخوة مسلمون إنما لديّ أخوة من رواندا ويوغسلافيا وكل الدول التي مرت بتجربة الحرب المرّة؛ فهم يعرفون جيداً وحش الذكريات الحنون، الذي يزروك بين حينٍ وحين، منتصف الليل موعده الأثير، عاشق لا يتأخر، يذكّرك بوجه الموتى؛ هم وحدهم خَبِروا مثلي ذكرياتٍ سترافقنا إلى القبر.

قال متأثراً وهو يربت على كتفي:

«كنْ فخوراً لأنك نجوتَ، ولا تشعر بالذنب لقد نجوْتُ أيضاً من حصار سيراييفو، أتمنى لك كل الخير من قلبي»..

احتضنني، دخلنا لحظةً في ختام مشهد سينمائيّ لا أدري إن كان مغوياً لأمير كوستاريكا، ولوّحنا بأيادينا لبعض وكأننا نودّع أنفسنا التي تذكرناها هنيهةً في الزحام ، زحام الذكريات التي نشذّبها ونقصّ شجرها الاستوائيّ كي لا يستطيل فيخنقنا...

خَبَبْتُ خطاي وكأنني أمضي إلى موعد تأخرت عنه، حين استدرت دمعتْ عينيّ بصدق لا أدري لماذا، ربما لأنني أدرك مرة اخرى أنها سيرة البشر دوماً.. من حلب إلى حمص إلى دمشق إلى سراييفو إلى كيجالي وكل المدن الشقيقة...

مشيت مسرعاً إلى الترام وكأنني أهرب إلى رتابة أيامي كي أنسى من أنا...

عمار عكاش

لكل مقام مقال

الشعب يريد

التاريخ يسخر، ويخاتل، ويعاند، وينقاد، لأن الناس مادته وحاكته، وغاياته. والناس تشابك وتفاعل بين ماضٍ يحضر، وحاضر يمضي، وقادم الطوبى الذي إليه يسعون. والإنسان بلا ماضٍ لم يكن ولن يكون، غير إن إشكالية حضوره في الحاضر هي التي تدفعه لكي يتجلبب برموز الماضي فيكثّرها ويُعصرنها. حاله كحال الذي يهرب من معاناة الحاضر فينطّ إلى مستقبل الحلم الذي يُعاد تشكيله، لا بدّ، بعناصر الماضي.

ولا شك عندي أن الاستبداد عنصر رئيس في تعتيم الحاضر وتصليبه، فيفقد الإنسان إمكانية التحكم بمصيره ويضيِّع معناه، فينفر إلى ليونة الماضي ورطوبة حلم المستقبل .وليست الحضارة الأوروبية في الذي آلت إليه: من جشع، وعنصرية، وتدجيل، وتكثير آليات السيطرة والتحكم، وتقنية جافة تسيطر، فتطحن إنسان العالم وتشيّؤه، فيغترب، إلا إضافة عامل فعال ومعيق، إلى العوامل النشطة في كل حالة من حالاتنا، وعلى هذا لا يمكن نقد الاستبداد وتفكيكه إلا بنقد الحضارة الأوروبية في قاعداتها ومساراتها. ولسنا في الحضارة الأوروبية التي أعادت تشكيل العالم على صورتها، إلا ماضيها الذي بترته من وعيها فصار مكبوتاً في لا وعيها الذي ينشط ويخلخل فيستدعي المقاومة لطمسه ونسيانه، ومن هنا هذا التشابك المرير الحميم الذي لا يتخفف من شكل للتدخل إلا ليكثّف طغيانه بأشكال جديدة.

ليس ممكناً، الآن وهنا، التعرّف علينا في تراثنا، وليس ممكناً التعرف علينا في حاضرنا الذي لا يمكن نزعه من حاضر العالم، ولهذا فقد قامت لحظة الإطاحة بكل القواعد المألوفة، وبكل مساراتها المتمكنة، فكانت مفاجئة، مدهشة، مرتبكة، فاجرة ودامية. إنها لحظة التأسيس لتاريخ مختلف، ولحظات التأسيس لا تأتي إلا في ضباب. إن التونسي المفرد، الأول، الخالق الذي أطلق صرخته المشحونة، الحالمة، والتي ذابت وانتشرت في حناجر الناس الصارخة: «الشعب يريد إسقاط النظام»، والذي ذاب وغاب مثل صرخته في العموم، فلم تلتقط صورته «كاميرا» مصوِّر، ولم يكن يدري، بالتأكيد، أنه قد قطع مع تاريخ مديد، وقد دشّن عتبة تاريخ عالم جديد. ومثله السوري الذي صرخ بدلالة مكمِّلة: «الشعب السوري ما بينذل»، ومثلهما اليمنية التي خرجت عن إرادة حزبها ووصايا عائلتها ثم نزلت إلى الميادين.

إن مطويّ اللحظة ذاتها، في دلالتها الكثيفة، والتي كانت احتفالية، مضاءة ومثبّتة في الصور: هي لحظة «محمد مرسي» حين اقترابه من الكرسي، في تعبير وجهه المخطوف، في ثبات عينه وفراغها وسكونها، في تلمّس كفه اليسرى لمسند الكرسي اليمين، استغراقه الخاطف في تأمل مكان القعود، في كيفية جلوسه وكيفية إسناد يديه على الطاولة. لم يدرك السيد الرئيس المنتخب، وليس في إمكانه أن يدرك، أن النبوّة قد خُتمت مع خاتم أنبيائها، وأن الخلافة المحلوم بها، قد أُغلقت مع رابع خلفائها، وأن ما بعدهما لم يكن إلا تكراراً بائساً لملكيات عضوضة.

لم يحصل أبداً، قبل اللحظة التونسية، أن أراد الشعب. لقد كان الشعب في جميع الثورات الكبرى، وفي كل تاريخه: مادة خاملة مهملة في لحظات الاستقرار، وآلة منفعلة فعالة في الأزمات، حاملة لمشاريع صيغت في الغرف المترفة، أو في المداولات الحزبية. ولأول مرة يشتمل المفهوم على كل عناصره ودلالاته، فلم يعد ممكناً عزل فئة منه، ولا تمييز فئة. ولم يعد ممكناً عزل حريته وكرامته في المجال السياسي، عنها في مجالها الاجتماعي. الأمر الذي يدفع دفعاً لخلق وتكثير حساسيات طازجة، نقادة، تبدأ في فصل الثقافي عن السياسي معرفياً، وتحديد مجالاتهما وما يميز كل منهما، وآلية التحويل بينهم، ثم إعادة مفهمة العقل والعقلانية، الوطن والمواطنة، الديمقراطية والعلمانية، الدين والسياسة... الخ. وكشف أدلجة وزيف العديد من القواعد المعتمدة في الفهم حتى الآن، ومنها: «أن الحرب استمرار للسياسة بأشكال أخرى»، والبرهنة على أن الحرب ما هي إلا فقر السياسة وعجزها، الذي يركُز في أدلجتها التي سعت وتسعى لتحويل الإنسان إلى مطوى ومطيّة، ودون هذا لن نفعل سوى التعفّن في لغة العصبيات التي تبيح لكل صاحب سلطة، ولكل طامح أن يستعين بمن يشاء وكيف يشاء، وهو ما يسود المشهد الآن. والذي يمثل استمراراً لتاريخنا غير البعيد.

لقد آن الآوان، ومن هنا، لسحب القداسة من كل المجالات وتكريسها في إنسان هذا العالم، وهو فعل الثقافة التي كنا قد منحناها، إلى العالم، منذ فجر التاريخ، ومنها وفيها المسيحية والإسلام، وها قد حان الوقت لكي نغنيها ونمنحها من جديد.

فاضل الفاضل

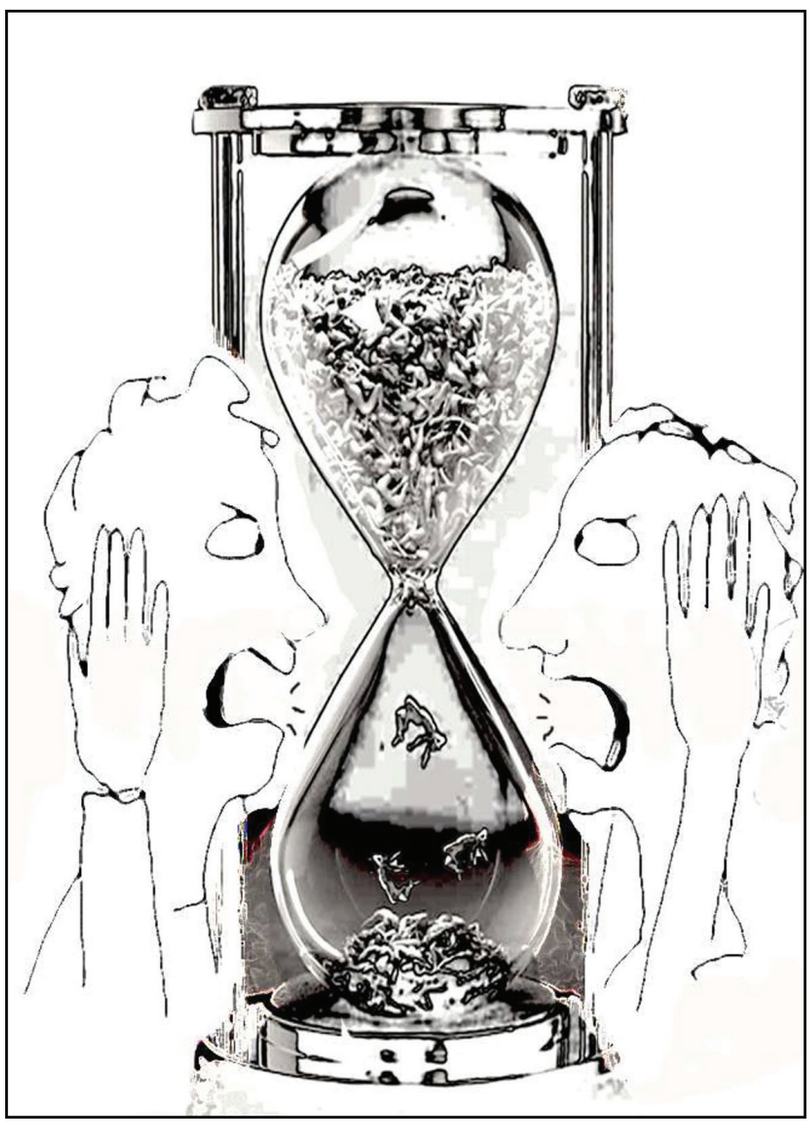

أنا السورية المحظوظة

هزار الحرك

أنا السورية المحظوظة.. ما زلت حتى هذه اللحظة على قيد الحياة.. وما يزال لدي من الحواس خمسٌ مكتملة.. ساقاي معي وأيضاً ذراعاي.. وأصابعي العشرون.. وملامح وجهي جميعها.. في مكانها باقية..

أنا السورية المحظوظة يمكنني.. بكبسة زر وأنا أخط هذي الكلمات.. أن أختار ما أشتهي من سلال الموسيقى.. وأن أسمع ما أشتهي من أغنيات وبكبسة زر..

أن أطفئ الضوء فأنام لديّ ثلاثُ مخدات.. ولحاف وبطانية.. وفراش ناصع البياض، ويمكنني أن أنام على جهات جسدي الأربع.. أن أتقلب على كل الجنبات..

أنا السورية المحظوظة.. أوقظ طفليّ بقبلة.. أو بست قبلات.. أحادثهم.. أشاجرهم.. ألاعبهم.. أعلمهم.. وفي آخر المساء أضعهم في الفراش وأودعهم... بقبلة أو بست قبلات.. دون أن أخشى مثلاً أن أستيقظ غداً فلا أجدهم أو أن يكون مثلاً قد سقط بعضٌ من جسدهم فلا هلعٌ... ولا أنّات..

أنا السورية المحظوظة.. تُعد لي أمي قهوة الصباح.. وأرقص على دقات عكاز أبي.. على مصطبة الورد.. حيث استراح.. ويمكنني أن ألتهم إذ أجوع رغيف خبز.. دون أن أحسب حساباً ليوم الغد.. وفي مطبخي أرزٌ وعدس وسكرٌ وشاي.. والبنُّ لا ينفد ..وفي البراد تفاح.. وفي الحمام .. صابون بعطر الورد.. وماء ساخن مُباح..

أنا السورية المحظوظة.. لدي بيت جدرانهُ من حجر.. وسقفهُ من حجر.. وبابهُ من خشب الشجر.. وفيه مفتاح.. أُوصده متى أشاء... بوجه الضجر.. بوجه الرياح.. لم أمت تحت التعذيب.. ولا برصاصة من قناص.. لم أتجمد في عراء اللجوء.. لم أختنق بغاز السارين.. ولم أغرق.. في مياه البحر الأبيض المتوسط.. لم ينهش جثتي كلبٌ .. ولا سمكٌ.. ولا سفاح..

أنا السورية المحظوظة.. قلبي ينفرط من التعاسة.

مقام القصب

عبد السلام حلوم

/١

من يوم يومها، سورية هكذا، كالفخار، تجفف بحروفها نزيف الأرض، وجرحها لا يندمل.

/٢

حلب، النكهة الملموسة كشامة في قبة الخد، لواحدة توحّمت على حزِّ شمسٍ قبل الحبل.

/٣

المطارح الموغلة في العنب، الشوارع التي تحبّ أن تعبرها وحيداً، وتلك التي منذ آخر انتظار فاشل حردت عنها خطاك، بعد النظر المحصّن بالدمع، الخريف المتلعثم في شفة الفستق الحلبي، آثار تعذيب المشمش واضحة على جلد قمر الدين، الشرشف المبقّع برغوة البيرة الساحل عن آخر طاولة في مطعم العندليب، المطر الذي سيحتشد بعد قليل، قبضة الملبن علي تلابيب الجوز، الحضور الطاغي للذين ماتوا، الشمس الكسيحة، روح لا ترغب في العودة إلى البيت، أنثى وحيدة تلوح نكهتها بالبال... الخريف في حلب إذن.

/٤

وحدهم الغرباء لا يعرفون الجميل في شعاب المكان فيخدش مرورهم الغبطة، لا يعرفون أن على هذا الحائط ظلَّ قبلات عجولة، ولذلك الشباك إطلالة تميّز في الزحام نهد العاشقة، وعلى هذا الرصيف لا تتورط يمامة تعرف بغريزة الطير الجيوب المدحوة بالبارود أو خيطان الشبكة، ووراء تلك الشجرة قصة، وبين العشبة وأختها سمر عن فداحة الاسمنت، والقبو الذي على الشمالي لا يحس بالدونية فمنه خرجت كل ظروف البريد، وحدهم الغرباء لا يشمون عطر الأرض فيدوسون بكل ثقلهم على أفراخ التراب.

/٥

نحن، المتهمين، بالمقهى لنا فكرة تحت ركامها مثلها مثل حظوظنا المكسورة في خطوط البن لم نفكر أن نحتسي يوماً فنجاناً ببرود زيادة، لم نفكر أن نبعثر حلمنا كمربعات سود في الكلمات المتقاطعة، مصابون بالصمت الباهظ، لا كالذهب، بل، كذكرى لم ينقصف ظهرها بعد.

/٦

كنت أعدُّ المسافة بين الموعد واللقاء كخط نظر السماوات مطويات بين أضلاعي وكلما طال الطريق تأكدت أوصالي من شوق الآخر أما الجهات فكانت مجرد أجنحة. والآن أنتظرني في الموعد مزدحماً بالوجد

/٧

في البال أن التفاحة إنما صعدت، والنعمان تقنع بالشقائق والسنبلة، الاحتجاج المهذب للحصى، والقمر لا إقليدي، والذكريات شمع لعسل نحل مستنسخ من دبابير خنثى، والله لا يعرف العدّ للعشرة، فاستراح في اليوم الأول.

/٨

مالها مرت كالتوت، الهدايا الشفوية للجوري، أسراب الإوز الموعود بسماء أعلى، الشامات المستعارة على خدود الفلاحات، الاتحاد النادر في ورقات الخس، الشمسات النافعة للقصب المبحوح، شالات الحجل بأخذ قيلولة على أكتاف أمهات ينشرن كنزات نسجنها لابن كان سيخرج من السجن، الأيام التي أحاول فيها تأويل منام ألفنا فيه، فيه تقويماً بلا حداد وما يحزنون.

/٩

سنتان وتحترق الغابة.

قالها سعيد حورانية ومات، دون أن ينال نصيبه من اسمه، كأنّما تنازل عنه للكنية، فهي الأقدر على تحصيل حصته من الحرية.

/١٠

من هنا مر الرصاص،

من خاصرة الشجر الناشز على الحديقة، من طحال جورية لم تتوّج موعدا قبل الفحص، من أضلاع الأبجور المتروك جانبا، من قرنة الحجر البيضاء في نجاة الرصيف، من فردة حذاء لم تنقلب على فرار صاحبها الكهل، من بين عيني مصورها، غرة العشب الذي خلّد رائحته في كمشات البابونج، من بين آخر ورقتين رزمانة شباط الكابس على فراخ آب، من عطش خلبي في سراب البيرة، من آخر زرين في قميص ما انكوت تجاعيد الأصفر الشانف في ياقته، منثقب الحلق في أذن طفلة جاءت بعد وحم على التفاح، من النكهة المظلومة للملح في رشفات الحليب،

ومرَّ من تحت إبط الغيم.

المدير العام
توفيق دنيا

هيئة التحرير
بسام يوسف - عزةالبحرة - حسين برو
ثائر موسى - منير الأيوبي

فريق العمل
الموقع الإلكتروني : محمد نجار
سكرتاريا : نور العبدالله
الترجمة : مها خضور

الآراء الواردة في كلنا سوريون تعبر عن رأي الكاتب
و لا تعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة